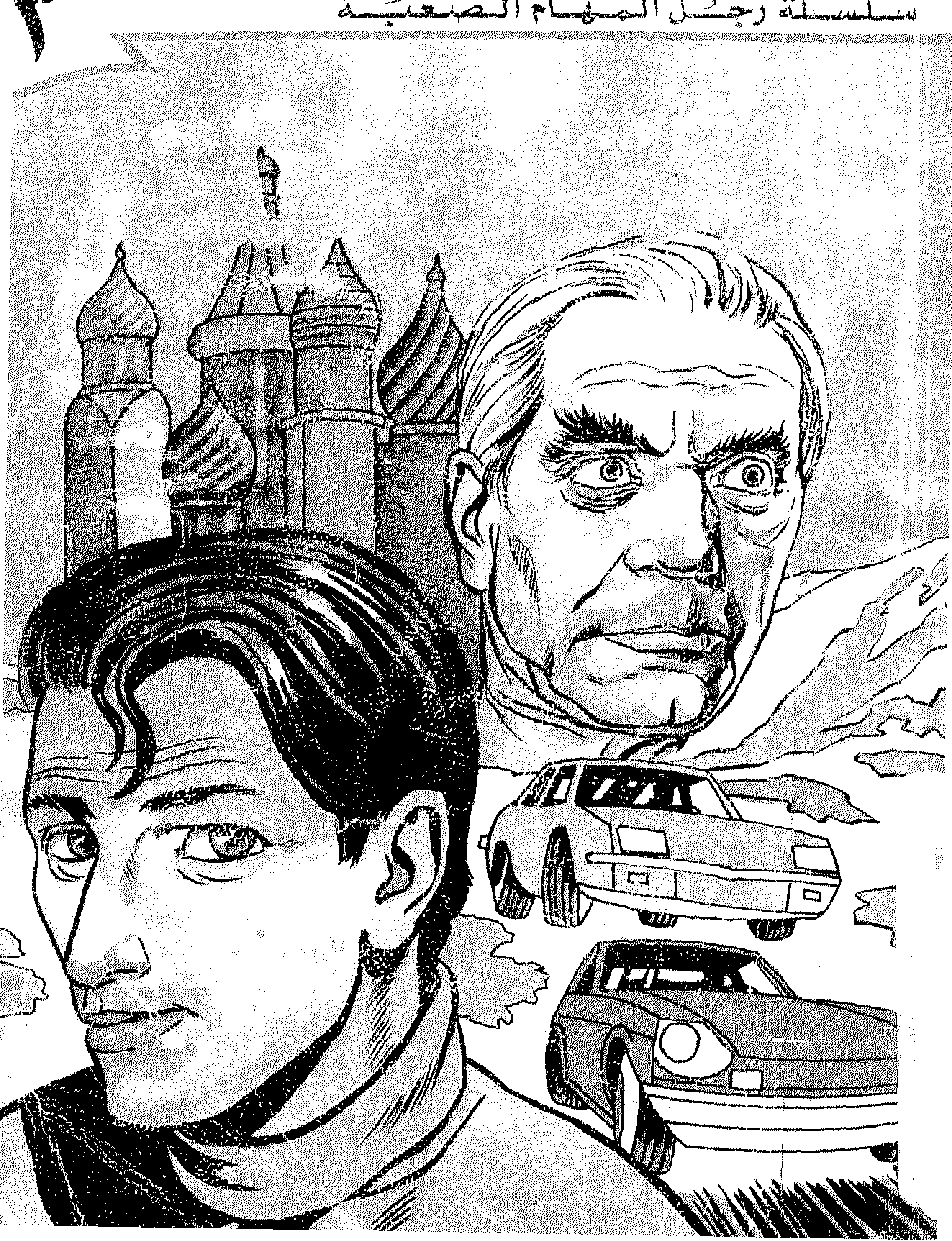
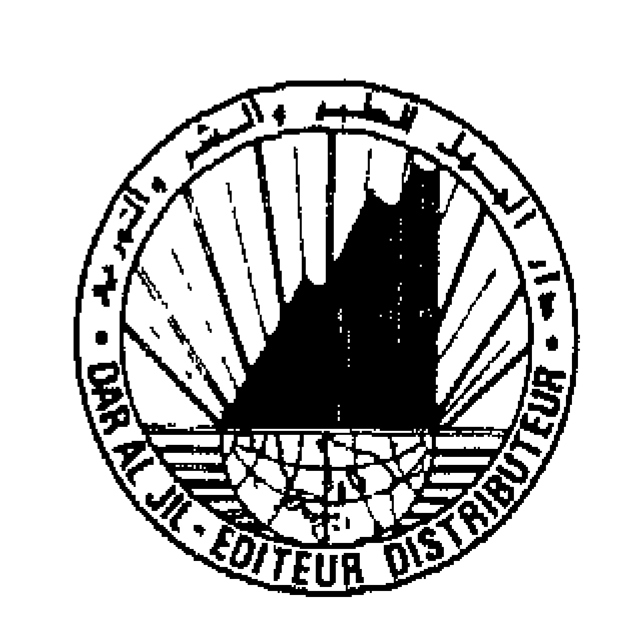
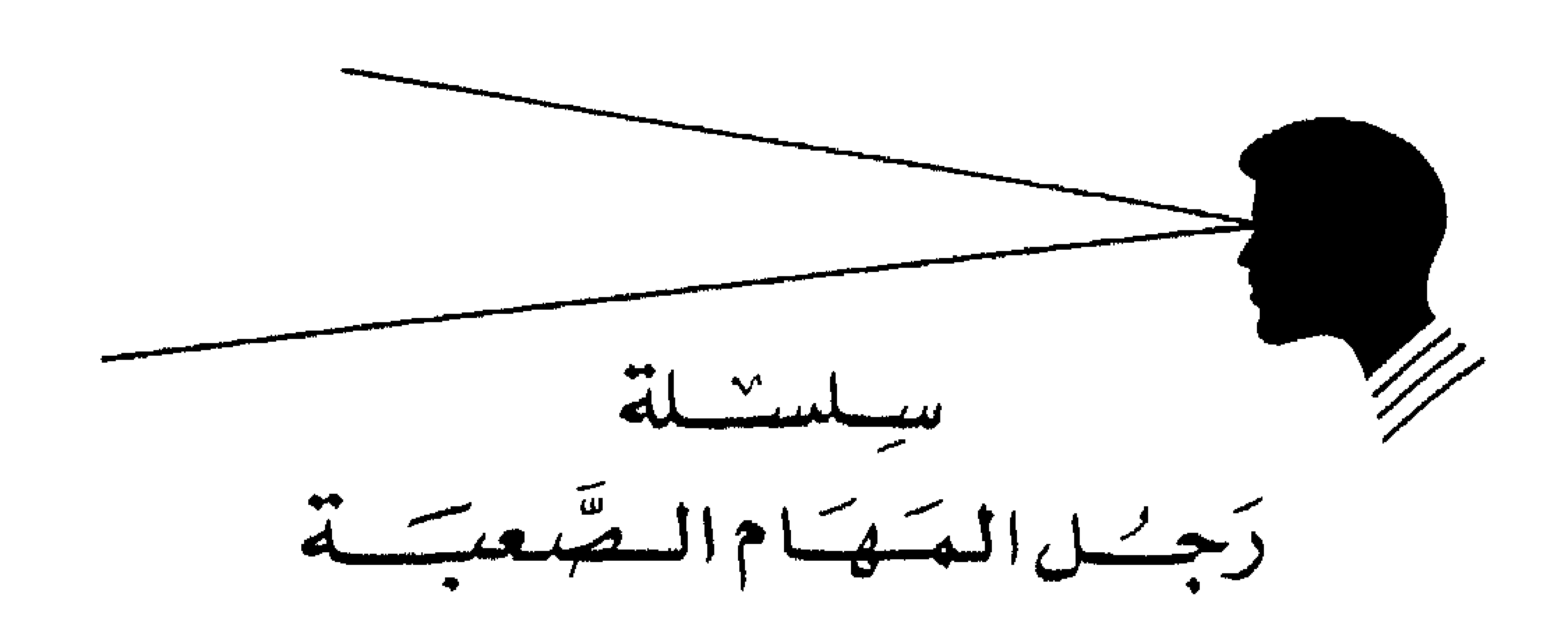

٣
سلسلة رجل المهام الصعبة

المهمّة المستحيلة



دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

ص.ب ٨٧٣٧ - برقيا: دارجيلاب - تلكس: ٢٣٤٢٠ دار الجيل



سلسلة
رجل المهام الصعبة

المغامرة الثالثة

المهمة المستحيلة

تأليف : مجدي صابر

دار الجيل
بيروت

الطبعـــة الأولى
١٩٩١

رجل العمليات الخاصة :

انها سلسلة جديدة حافلة بالاثارة والمغامرة نقدّمها لك أيها القارئ العربي الكريم..

ففي ظل عالم بات يعتمد كثيراً على أجهزة مخابراته ووسائلها السرية لتحقيق أهدافه.. وفي ظل ما يسمى بحروب المخابرات السرية.. وفي ظل أقصى درجة من المهارة والذكاء يبرز اسم « ماجد شريف ».. فهو طراز جديد فريد لا مثيل له في عالم المخابرات..

واذا كان « جيمس بوند » هو اسطورة الغرب في دنيا المخابرات.. فإن « ماجد شريف » هو الأسطورة القادمة من الشرق.. من الوطن العربي الكبير..

فهو الرجل الذي لا يقهر.. والذي يدخره رؤساؤه للحظة الأخيرة.. حيث لا يكون هناك حل آخر غير « ماجد شريف ».. ولم يحدث أن خيّب « ماجد » أمل رؤسائه فيه أبداً..

بسم الله الرحمن الرحيم

مباراة.. للموت!

وقف الخصمان على مبعدة عشر خطوات عن بعضهما داخل حلبة القتال، وقد سكنا وعيناهما معلّقة ببعضهما في استكشاف صامت.

وخارج الحلبة دوّى صوت في حماس يقول : ستشاهدون الآن سيداتي آنساتي مباراة القمة في استعراض فنون « الكاراتيه ».. ومباراة اليوم كما هو معلوم بين بطل نادي الجزيرة في الكاراتيه « ماجد شريف » وبين بطل اليابان البطل العالمي « كوزي انطوانا »، ويُسعد نادي « الجزيرة » تنظيم هذه البطولة الاستعراضية بين البطلين المصري والياباني والتي تُقدّم فيها استعراضات اللعبة بدون قتال حقيقي، ومدّة المباراة خمس عشرة دقيقة وهي حسب قواعد اللعب الاستعراضي لا فائز فيها ولا مهزوم، فكل ما يهمّنا هنا هو العرض الجميل في فنون اللعبة.

تراجع المذيع وتعالى تصفيق من الجمهور المحيط بالحلقة

الواسعة.. وكان أغلب هذا الجمهور من الفتيات والسيدات من أعضاء نادي الجزيرة الذين جذبهم اسم « ماجد شريف » لمشاهدة المباراة الاستعراضية.

كان « ماجد شريف » مصدر اعجاب لعدد كبير من سيدات النادي وشبانه، فذلك الشاب الأسطورة الذي لا يظهر في النادي إلا بين كل حين وحين ليستعرض مهارته في احدى البطولات، أو ربما يحضر في أحيان قليلة لممارسة لعبة التنس أو السباحة، ويحيطه الغموض العجيب، ولا يستجيب لأي محاولات للفت الأنظار إليه، ويجيب دائماً بابتسامة رقيقة آسفة على كل دعوة توجّه إليه أو أي محاولة لعقد صداقة.

كان الشيء الوحيد المتاح للكثيرين هو مشاهدة تلك المباريات النادرة التي يلعبها « ماجد »، وقد كان الاعلان عن تلك المباراة العالمية الاستعراضية مُعلقاً في واجهة النادي منذ اسبوعين، فلم يكن عجيباً أن غصّ المكان بالمشاهدين ممن جاءوا لمشاهدة « ماجد » بصفة خاصة. تقدّم المتسابقان ثلاث خطوات فقصرت المسافة بينهما إلى أربع خطوات، وانحنى كل منهما تحية للآخر على الطريقة اليابانية.. ثم رفع الاثنان وجهيهما وعاد كل منهما يشمل الآخر بنظرة متفحّصة طويلة.

وبدا « ماجد » في بذلة الكاراتيه المصنوعة من التيل الأبيض



القوي بوجهه الباسم الوسيم وشعره القصير وعينيه الواسعتين العسليتين مثالاً للثقة بالنفس والهدوء.

أما الياباني فكانت ملامح وجهه أقرب إلى الصينيين منها إلى اليابانيين، وكان غليظ الحجم عريض الصدر متهدّل الكرش كأنه بطل مصارعة لا بطل كاراتيه، وكان له ساعدان عريضان كأنهما جبل من العضلات، مكتنزان مليئان باللحم ضاق عنهما بنطلونه القصير إلى ما تحت الركبة بقليل.

اعطى الحكم اشارة البدء، دار الخصمان حول بعضهما في مناورة قصيرة، امتدت ذراعا الياباني كدانة المدفع نحو كتفي « ماجد » فتحاشى « ماجد » الأصابع الرهيبة المقوّسة وزاغ منها.. هدر الياباني وعاد يدور حول خصمه.. واندفع في حركة مباغتة قاصداً تطويق رقبة « ماجد » فتفادى الأخير انطباقة الأصابع فوق رقبته، ولكن الياباني الماكر كان يهدف لشيء آخر، فانطلقت قدمه العريضة المفلطحة نحو بطن « ماجد » في ضربة قوية اصابت هدفها.. وكانت الضربة من الشدّة بحيث ألقت « ماجد » بعنف إلى الوراء فتدحرج على ظهره ثم استقام في لحظة واقفاً مرة أخرى، وقد ظهر عليه بعض الاندهاش..

كانت خطة « ماجد » تعتمد على اثارة خصمه بالمناورة السريعة وتحاشي مسكاته وضرباته الاستعراضية، وكانت هذه الخطة ناجحة دائماً وتفقد الخصم تركيزه عندما تطيش كل ضرباته، فتبدو حركاته

عصبية مما يسهّل لـ « ماجد » هزيمته بهدوئه وألعابه الواثقة.

ولكن الياباني بادره بهجوم مفاجئ.. ولم يكن من المسموح حسب شروط المباراة الاستعراضية الضرب بقوّة، خاصة عندما يكون الضرب في لعبة مزدوجة سريعة.

لذلك اندهش « ماجد » قليلاً.. ولكن كان يعلم أن أغلب اللاعبين يسيطر عليهم الحماس في المباريات الاستعراضية فتأتي بعض ضرباتهم قوية مؤلمة رغماً عنهم.

عاد الياباني يدور حول « ماجد ».. وضاقت عينا « ماجد ».. ومن حوله مئات العيون التي تنظر نحوه وتشفق عليه في توتر واضح..

توقف الياباني عن الحركة وأخذ وضع « تايجي داتش » بقدميه بالصاق كعب قدمه اليمنى بعقب قدمه اليسرى بحيث شكل القدمان زاوية قائمة، وكان هذا يعني أنه يستعدّ ليأخذ وضعاً هجومياً صريحاً.

وفي الحال طار « ماجد » في الهواء مسدداً إلى وجه الياباني ضربة بسن قدمه، وحاذر حتى لا تصيب وجه الياباني، ومن المفترض حسب قوانين الاستعراض أن يصد الياباني اللعبة بسيف يده العكسية ليحمي وجهه.. ولكن الياباني تحاشى الضربة الموجّهة له، واستدار نصف دورة ليصبح خلف « ماجد »، وبقدمه اليمنى وجّه ضربة قاسية إلى ظهر « ماجد » بحركة « يوكوكيري كوكومي » رافعاً قدمه إلى أعلاها نحو ظهر « ماجد » بقوة كالقذيفة، فاندفع « ماجد »

وسقط على الأرض متألماً بشدة من الضربة التي لو انحرفت مليمترات لأصابت عموده الفقري وحطّمته.

تعالت شهقات الخوف والذعر من الواقفين، واستدار « ماجد » بعيون مندهشة إلى الياباني.. وواجهه الياباني بعيون ضيّقة على أشدّها لا يكاد يبين سوادها، وقد ظهر على وجهه تعبير من القسوة، والتفت « ماجد » إلى الحكم، كان الأخير يبدو طبيعياً، ولا شك أن أحداً سواه لم يحسّ بقوة الضربة التي سُدّدت إليه وعنفها.

وأدرك « ماجد » أن في الأمر شيئاً.. وبدأت درجة استعداده وحذره ترتفع إلى أقصاها.. لقد انتظر بما فيه الكفاية وكان عليه أن يتأكد في اللعبة التالية من ظنونه..

وفي الحال اندفع نحو خصمه بطريقة تدل على عدم الحذر، وهاجم وجه الياباني بكعب قدمه اليمنى بحركة « ميكازوكي كيري » متعمّداً كشف بقية جسمه للخصم، وكما توقّع « ماجد » فقد تحاشى الياباني ضربة « ماجد »، وسدّد بكل قوّته ضربة هائلة بقدمه الغليظة ما بين ساقي « ماجد »، بحيث أنها لو أصابته لصرعته في الحال، وقد تألّقت عينا الياباني بوحشية هائلة.

وبأسرع من اندفاع قدم الياباني صدّ « ماجد » الضربة بساعد يده اليمنى، وبلحظة خاطفة صوّب ضربة هائلة بسيف يده اليسرى إلى رقبة الياباني الذي ترنّح إلى الخلف مذهولاً من سرعة « ماجد »

في صد ضربته القاتلة والهجوم عليه.. وتحسّس الياباني مكان الضربة فوق رقبته بألم شديد وحدّق في « ماجد » بعيون رهيبة.. ووضح لـ « ماجد » كل شيء.. لقد جاء الياباني لقتله، أو على الأقل لتعجيزه، على أن يبدو الأمر وكأنه غير متعمد، وبالفعل فإن المشاهدين بالخارج لم يلاحظوا شيئاً مما يجري خفية بالداخل، ولا حتى الحكم.

وكان على « ماجد » أن يواجه معركته، بدون أن يعرف لماذا يريد ذلك الياباني والذي يجيء ترتيبه الثالث على العالم في اللعبة، لماذا يريد التخلّص منه.

اندفع الياباني كالوحش نحو « ماجد » وهو يزأر بصيحة قتال عالية مُصوباً ضربة بمشط قدمه اليمنى نحو وجه « ماجد »، وتحاشى « ماجد » الضربة بسرعة، ولكن القدم الثانية للياباني وجّهت ضربة أقسى إلى كتف « ماجد » بحركة مباغتة دفعته للسقوط على الأرض بقوة.

وشهقت الحسناوات خارج الحلبة، وأخفت بعضهن وجوههن، وتألّمت الأخريات، والشيء المؤكد أن احداهنّ لم تشاهد « ماجد » من قبل في هذا الوضع أبداً..

وقبل أن يعتدل « ماجد » من سقطته المؤلمة، ومكان الضربة فوق كتفه قد جعله يحس أن كتفه قد انخلع من مكانه، اندفع

الياباني كالثور الهائج، ورفع قدمه الهائلة واندفع بكل ثقلها نحو صدر « ماجد » بقوة هائلة جحظت لها عيون المشاهدين، وتوقّعوا أن يسمعوا صوت تحطّم القفص الصدري لماجد، ولكن يد « ماجد » امتدّت كقضيب من الصلب لتقبض على القدم الضخمة وأوقفتها في منتصف الطريق إلى صدره، وبنفس السرعة استدارت قدمه القريبة لتضرب ساق الياباني التي يرتكز عليها فوق الأرض ففقد الياباني توازنه وسقط على ظهره، وقفز « ماجد » واقفاً، واستدار الياباني المندهش من المفاجأة التي اطاشت ضربته واسقطته أرضاً، وقبل أن يستعد للنهوض اندفعت قدم « ماجد » كالصاروخ نحو بطن الياباني بضربة هائلة جحظت لها عينا الياباني، وقبل أن يفيق من الضربة أو حتى يتأوّه من عنفها، اندفعت قبضة « ماجد » الفولاذية تحت فك الياباني في ضربة سمع دويها آخر صف من جمهور المشاهدين حول حلقة القتال، وارتجف رأس الياباني كبالون مترنّح في الهواء، واستدار نحو الأرضية وبصق فوقها دماً كثيفاً سقطت معه ثلاثة من ضروسه، وأمسك الياباني بوجهه وراح يتقلّب فوق الأرض متألماً بشدّة بعد أن تحطّم فكه من عنف ضربة « ماجد ».

ونهض « ماجد » وقد ساد الوجوم وجوه الحاضرين لما جرى للياباني، واندفع كبير الحكام نحو « ماجد » غاضباً وهو يقول : لقد غاليت في حماسك.. إن هذه الضربة الهائلة للفك تُحظّرها قوانين اللعب الاستعراضي.

حدّق « ماجد » في كبير الحكام بوجه بارد وخالي من المشاعر، واستدار خارجاً بين جمهور المشاهدين فلمح السيد « م » رئيسه وسط صفوف المشاهدين، فأدرك أن ظنّه كان في محلّه تماماً.. وأن الياباني كان يقصد قتله بكل تأكيد!

وعندما كان « ماجد » يأخذ دشاً بارداً في حمام النادي بعد دقائق قليلة من انتهاء معركته مع الياباني، تعالى أزيز ضعيف لا يُكاد يُسمع، فألقى « ماجد » نظرة إلى ميناء ساعته والتقط الرسالة القصيرة التي تدعوه على عجل لمقابلة « م »، ثم اختفت حروف الكلمات من ميناء الساعة لتعود بريئة المظهر كما كانت.

وجفّف « ماجد » نفسه سريعاً وغادر المكان في سيارته « الفولفو » منطلقاً إلى مقرّ رئاسة العمليات الخارجية بشارع شريف، وقد تضاعف فضوله لمعرفة سر ذلك الياباني الذي تركه محطّم الفك في نادي الجزيرة..

* * *

« وثائق هامة جداً »

أشار « م » إلى « ماجد » أن يجلس، ثم أشعل غليونه وأطفأ ولاعته وأمسك به بأصابع قاسية.. وسدّد نظرة إلى عين « ماجد » مباشرة وارتسمت ابتسامة قليلة فوق شفتيه قائلاً : كانت مباراة رائعة.. تهانئي لك بالفوز.

ماجد: لا بد أنك تقصد تهنئتي لأنني نجوت بحياتي.. كانت معركة حياة أو موت.

رد « م » : هذا ما عنيته تماماً.. لقد جاء هذا الياباني ليقتلك.. أو على أقل تقدير ليصيبك بعاهة بحيث لا تصلح بعدها للخدمة أبداً.

تساءل « ماجد » بدهشة : ولماذا.. هل هناك سبب شخصي يدعو ذلك الياباني للتخلّص مني.. أم أن الأمر متعلّق بمهمة قادمة، يرعب الأعداء في ألا أتولّاها؟

زادت ابتسامة « م » حتى شملت وجهه كله، ونظر إلى « ماجد » باعجاب قائلاً : لقد اصبت كبد الحقيقة في استنتاجك يا « ماجد »..

تساءل « ماجد » بعيون ضيّقة : وأي الاحتمالين هو الصحيح؟

رد « م » بهدوء : إن الاحتمالين صحيحان معاً!

ورانت لحظة صمت اعقبت قول السيد « م » وحدّج « ماجد » في رئيسه بدهشة وتساؤل، وأكمل « م » بعد أن أخذ نفساً عميقاً من غليونه :

بالنسبة للاحتمال الأول فلا بد أن السبب سيكون واضحاً تماماً إذا أخبرتك أن هذا الياباني هو أخو الصينية « لو » التي تخلّصت منها في عملية « عصابة الفاتنات ».. هل تتذكّرها؟

تعاظمت دهشة « ماجد » وهو يقول : وكيف أنساها يا سيدي، انها أبرع من صادفت مهارة في فنون القتال الصينية.. ولكن ذلك الياباني..

قاطع « م » « ماجد » قائلاً : إنه ليس يابانياً.. انه صيني وقد استطاع بطريقة ما أن يحصل على أوراق البطل الياباني قاصداً قتلك خلال المباراة الاستعراضية، ولست أشكّ في أنه قتل الياباني الأصلي « كوزي انطوانا » حتى لا يكتشف أحد حقيقته، وقد ساعده في عدم اكتشاف حقيقته في

مصر، أن أحداً لم يكن يعرف الياباني معرفة شخصية أو رآه من قبل، فقد تم الأمر عن طريق اتحاد « الكاراتيه الياباني » الذي رشح « كوزي انطوانا » لتلك المباراة الاستعراضية، وقد جاءتني معلومات سرية بما حدث وانتحال الصيني مكان بطل اليابان وعندما أسرعت إلى نادي الجزيرة لتحذيرك كان الأوان قد فات.. وبدأت المباراة بالفعل..

قال « ماجد » ببطء : لا أظن أن ذلك الصيني كان يمكنه الوصول الي ومعرفة أنني المسؤول عن قتل شقيقته إلا بواسطة جهاز مخابرات عالي الكفاءة.

« م » : هذا صحيح تماماً يا « ماجد ».. انه نفس جهاز المخابرات الذي كان يقف خلف « فتيات الموت » في عملية « عصابة الفاتنات »، وهو الذي اتصل بالصيني وجنّده وسهّل له التخلّص من « كوزي انطوانا » وانتحال مكانه بغرض قتلك للانتقام من مصرع « لو ».. وبالطبع فان هذا الصيني لم يكن يعرف أن المخابرات المعادية إنما كانت تهدف بالتخلّص منك إلى هدف آخر ليس هو الانتقام الشخصي لمصرع الصينية.. وما كان شخص في مثل موقف ذلك الصيني ليتساءل عن ذلك الهدف الآخر، بل دفعته الرغبة في الانتقام إلى المجيء إلى هنا بدون أن يشك في غرض مخابرات الأعداء أبداً.

ماجد: يبدو أن هناك مهمة عاجلة ذات أهمية قصوى، ويخشى الأعداء من أن أتدخّل فيها ولذلك أرسلوا هذا الصيني للتخلّص مني.

رد « م » بهدوء: هذا صحيح تماماً يا « ماجد »، ان المعلومات التي جاءت متأخّرة تؤكد ذلك.. ان هناك مهمة لا يصلح لها إلا رجل واحد.. « ماجد شريف ».

ارتسمت ابتسامة هادئة على وجه « ماجد » لاطراء وثقة رئيسه، وأكمل « م »:

ولا شك أن الأعداء يعرفون أيضاً أنك أصلح من يتولّى تلك المهمّة، ويعرفون قدراتك أيضاً ولذلك بادروا بالتخلّص منك قبل أن نُكلفك بهذه المهمة.

ماجد: يبدو أنهم كانوا متأكدين أن المهمة ستسند لي.

« م »: هذا صحيح تماماً.. اننا في مجال تقييمهم لا نستطيع أن نُغفل مهارتهم.. اننا في حرب خفية وعلينا ألا نتجاهل الحقائق والا كنا ندفن رؤوسنا في الرمال كالنعام.

قال « ماجد » باسماً: لقد حدثتني كثيراً حول هذه المهمة القادمة يا سيدي.. ولكنك لم تحدّثني عنها!

اختفت ابتسامة « م » وساد وجهه تعبير من الجدية الشديدة

والتقطيب، فأيقن « ماجد » أن المهمة القادمة لا شك محفوفة بالمخاطر والأهوال لا مثيل لها.

تساءل « ماجد » بعيون ضيّقة : هل هو صراعنا المعتاد مع مخابرات اعدائنا الدائمين؟

رد « م » : هذا صحيح تماماً، بالاضافة الى أنك ستكون أيضاً هدفاً للمخابرات الأمريكية والمخابرات الروسية في نفس الوقت.. أي أنك ستكون مُطارداً ومطلوباً للقتل من أقوى ثلاث أجهزة مخابرات في العالم.

وساد صمت ثقيل بعد كلمات « م »، ولم يحاول الرئيس أن يخفّف من تأثير كلماته على « ماجد »، فقد كان يعرف أي مهمة رهيبة تنتظره.

قال « ماجد » بعد لحظة : لست أفهم يا سيدي المسألة بوضوح.. ما هي علاقة المخابرات الأمريكية والروسية بالمسألة؟

وابتسم وهو يكمل : بل ما هي المسألة بالضبط؟

لم يخرج السيد « م » ملفاً أو صورة كعادته من درج مكتبه، بل تراجع بمقعده إلى الخلف وأخذ عدة انفاس من غليونه و « ماجد » يراقبه بصمت وبدا « م » كأنه يستجمع افكاره ويرتّب ما سيبدأ به حديثه، واطفأ غليونه بشيء من التوتّر لم يخف عن « ماجد » الذي بقي صامتاً، وأخيراً التفت « م » إلى « ماجد » قائلاً :

لا شك أنك تعلم أن المعرفة في عالمنا قوة، وكلما توافرت معلوماتك عن شيء معيّن كلما ازددت قوة وأمناً، بحيث لا يمكن لهذا الشيء أن يفاجئك بطريقة ما.. خاصة إذا كان هذا الشيء ينتمي إل الأعداء.. وبالذات إذا كان هذا الشيء جزءاً من قوّة الأعداء..

وساد صمت لبرهة بدون أن يقاطع « ماجد » رئيسه باستفسار ما. وأكمل « م » :

المسألة كلها بدأت منذ أيام قليلة عندما تلقينا رسالة من أحد المصادر، وأبلغ صاحب الرسالة احدى سفاراتنا العديدة في دول العالم بأن لديه وثائق هامة مصوّرة على ميكروفيلم، وأن هذه الوثائق تخصّ الأعداء وأنه استطاع بطريقة ما الحصول عليها، وقد رفض بالطبع الافصاح لنا عن الطريقة التي تمكن بها من الحصول على الوثائق الهامة جداً.

تساءل « ماجد » باهتمام : وماذا تحوي هذه الوثائق يا سيدي؟

رد « م » : انها تحوي كل ما يتعلّق بقوة العدو البحرية من سفن وزوارق حربية وقواته البحرية ودرجة استعدادها وتأهيلها، بالاضافة إلى عدد غواصاته وأنواعها، والأهم من ذلك كله أنها تحوي خطوط سير هذه الغواصات والمواقع التي تتمركز بها في البحر الأحمر والبحر الأبيض وملاجئها السرية

وخططها لمهاجمة موانئنا في حالة نشوب أي حرب قادمة.. انها معلومات تساوي الملايين.

ماجد: بالتأكيد يا سيدي، ويبدو من المذهل أن يستطيع هـذا الشخص أياً كان أن يخترق دفاعات وأسرار الأعداء ليحصل على هذه الوثائق الهامة جداً.. ولهذا فان المسألة تدعو للشك.

« م » : كان هذا أول ما فكرنا فيه، فإن تعاملنا مع الأعداء من قبل أوضح لنا بجلاء أنهم لا يفرطون في أسرارهم بتلك السهولة، ولا يعرضونها لخطر الكشف والسرقة خاصة إذا كانت بمثل هذه الدرجة من الأهمية، ولكننا في وقت لاحق استطعنا الحصول على جزء من هذه الوثائق للتأكد من حقيقتها كشرط لشرائنا لها، وبالفعل فقد تأكّدنا من صحة هذه المعلومات الضئيلة التي حصلنا عليها.. وتأكّدنا من شيء آخر وهو كيفية حصول ذلك المصدر على الوثائق، فقد كان ذلك الشخص يعمل في بحرية الأعداء، وكان عمله يختص بتخزين المعلومات في كمبيوتر سري لحفظ المعلومات، واستطـاع بطريقـة مـا الحصـول علـى هـذه المعلومات وقراءتها وفك شفرتها ورموزها، ثم احتفظ بها لمن يشتريها، وبالطبع فقد كنا أول من لجأ إليه لبيع هذه المعلومات الشديدة الأهمية.

رفع « ماجد » حاجبيه دهشة وقال : إن المسألة تبدو خارقة وأبعد عن التصديق.. إن هذا الشخص يبدو وكأنه « سوبرمان » ليحصل على تلك الوثائق ويقوم بتصويرها بعد حل شفرتها، ثم يهرب بها إلى مكان ما ليطلب بيعها لنا.

رد « م » بهدوء : هذا ما حدث تماماً يا « ماجد ».. إن المعلومات التي أخبرتك بها مؤكّدة بنسبة مائة في المائة وليس فيها أي خدعة.

تساءل ماجد : وما الذي يعوق اتمام العملية.. هل هو ارتفاع الثمن الذي يطلبه ذلك الشخص؟

« م » : ليس هذا فقط.. حقاً إنه يطلب عشرين مليوناً من الدولارات ثمناً لهذه المعلومات ولكنني لا أظن أن هذا مبلغ كبير لها.

ماجد: اذن ما هي المشكلة يا سيدي؟

رد « م » وهو يعيد اشعال غليونه : لقد أوقع ذلك الشخص نفسه في مأزق.. وهو يريدنا أن نخرج به من هذا المأزق، بالاضافة طبعاً إلى المبلغ المطلوب، ليقوم بتسليمنا هذه الوثائق.

تساءل ماجد : وما هو ذلك المأزق يا سيدي؟

« م » : لقد ذهب هذا الشخص إلى بلد ظنّ أنه سيكون أسهل

البلاد التي يقوم فيها بمفاوضاته معنا في عملية بيع الوثائق حيث أن هذا البلد بعيد عن رقابة وعيون جهاز المخابرات التابع لأعدائنا.. ومن المؤسف أنه بعد ذهابه إلى ذلك البلد انكشفت المسألة بطريقة ما فبدأت مخابرات الأعداء في مطاردته لمنعه من بيع تلك الوثائق لنا، وفرضت حصاراً رهيباً على ذلك المكان لتمنعه من مغادرة البلد قبل أن تحصل على الوثائق.. ثم تتخلّص منه بعدها.

ماجد: لقد بدأت أفهم يا سيدي.. ولهذا فمن ضمن شروط بيع الوثائق ان نقوم باخراج ذلك الشخص من البلد الذي ذهب إليه، ثم يقوم بتسليمنا الوثائق ويتسلّم النقود في أي مكان آخر في العالم.

نقر « م » فوق مكتبه قائلاً : هذا صحيح تماماً يا « ماجد ».

ابتسم « ماجد » قائلاً : وما المشكلة في ذلك.. إننا نستطيع أن نمنحه جواز سفر مصرياً أو أي جواز سفر آخر ونسهّل خروجه من البلد الذي يوجد به، وما أسهل طرق إخراج شخص من أي بلد في العالم، فهناك آلاف الوسائل لذلك، وجهازنا لديه القدرة والكفاءة على ذلك.

رد « م » بهدوء : قد يكون ذلك صحيحاً تماماً يا « ماجد » في

أي بلد في العالم.. ولكنه غير صحيح على الاطلاق إذا كان هذا البلد هو « الاتحاد السوفياتي »!

وهنا نظر « ماجد » في دهشة عظيمة نحو رئيسه للمفاجأة غير المتوقّعة.. على الاطلاق!

* * *

« مهمّة.. في موسكو »

نطق « ماجد » غير مصدّق : الاتحاد السوفياتي؟

« م » : هذه هي المشكلة.. المطلوب اخراج ذلك الشخص من خلف الستار الحديدي وهو ما يُطلق على « الاتحاد السوفياتي »، ومن المؤسف أن ذلك الشخص لجأ إلى سفارتنا في « موسكو » ليبيع لها تلك الوثائق باعتبار أن بلده ليس له سفارة أو تواجد دبلوماسي أو أي نوع من النشاط في « روسيا » أو « موسكو » العاصمة.. ولكن انكشاف المسألة دفع الأعداء لإرسال عدد من عملائهم إلى « موسكو »، وهناك فإن هؤلاء العملاء لا يستطيعون التصرّف أو محاولة انتزاع فيلم الوثائق السريّة من صاحبنا ولنطلق عليه الاسم الرمزي « ماكس » لأنهم سيكونون هدفاً لعملاء الـ (كي.جي.بي).. أو المخابرات الروسية الذين يعتقلونهم على الفور وينتزعون الوثائق منهم قبل مغادرة

البلاد، ولست أغالي إذا قلت إن مصير هؤلاء العملاء سيكون صحراء سيبيريا ما تبقى لهم من عمر.

تساءل « ماجد » مندهشاً: ولكن ما هي علاقة « المخابرات الروسية » بهذا الأمر؟

قال « م » محتجاً: كيف تقول ذلك يا « ماجد ».. إن هذه الوثائق تهم نصف دول العالم، فإن اعداءنا شديدو الحرص على أسرارهم العسكرية، وأغلب الدول الكبيرة يهمها الحصول على مثل هذه الوثائق للاستفادة منها، وهذا ما دفع المخابرات الأمريكية أيضاً لمحاولة الحصول على نفس الوثائق لنفس السبب.

رفع « ماجد » حاجبيه دهشة وقال: هذا مثير تماماً.. مخابرات ثلاث دول تتصارع فيما بينها من أجل الحصول على تلك الوثائق.. لماذا لا تقوم المخابرات الروسية أو الأمريكية باختطاف هذا الرجل « ماكس » في « موسكو » واجباره على تسليمها الوثائق؟

« م »: ستكون هذه خطوة خاطئة تماماً، فإن « ماكس » سيخفي فيلم الوثائق ولن يُظهره أبداً لأنه يعلم أن حصول أي جهة عليه تعني الموت الفوري له، ولهذا فإن المخابرات الروسية تفضّل الانتظار والترقّب بدلاً من أن تتدخّل وتُفسد المسألة

تماماً.. أما المخابرات الأمريكية فانها في الأساس تساعد مخابرات الأعداء، وان كان لا يمنع من أنهم يتمنّون الحصول على تلك الوثائق لأنفسهم، وربما يفعلونها بطريقة خفية ومن وراء حلفائهم.. أعدائنا.

ماجد: ومخابرات الأعداء؟

« م » : انهم مقيّدون لأنهم تحت رقابة المخابرات الروسية في « موسكو » ولذلك يفضّلون التمهّل والانتظار قليلاً.. وهم لا يريدون مزيداً من التعقيدات في الأمر.

ماجد : وهل هذا ما دفعهم إلى محاولة التخلّص مني، حتى لا أزيد الأمور تعقيداً بتدخّلي؟

« م » : هذا صحيح تماماً يا « ماجد ».. إن المسألة تبدو معقّدة بطريقة غير عادية، « فماكس » لا يستطيع مغادرة « موسكو » في الوقت الحالي لأنه يعرف أنه إذا غادرها سيكون صيداً سهلاً لمخابرات الأعداء والمخابرات الأمريكية، هذا بالاضافة إلى أن المخابرات الروسية لن تسمح له بمغادرة البلاد أصلاً. وهو ما يستحيل عليه في الوقت الحالي لفقده جواز سفره.

تساءل ماجد : أتعني أن جهة ما سرقته لتمنعه من مغادرة « موسكو »؟

« م » : بالضبط.. إنهم قد يكونون الأمريكان أو الروس أو أعداؤنا،

فحتى هذه اللحظة لا نعرف من الذي استولى على جواز سفر « ماكس » ليمنعه من مغادرة « موسكو » فيبقى بها أشبه بفأر داخل قفص كبير تحيطه النمور من الخارج فلا يجرؤ على مغادرة قفصه.. وهو أيضاً لا يستطيع البقاء فيه إلى ما لا نهاية، ومن جانبنا فنحن نخشى عليه من البقاء في « موسكو » والا استطاعت اجهزة المخابرات الروسية أو الأمريكية أو مخابرات الأعداء الحصول على الوثائق بطريقة ما.. فتضيع منا تلك الوثائق الهامة جداً.

قال « ماجد » بعيون ضيّقة : اذن فمهمتي هي السفر الى « موسكو »، ومحاولة اخراج « ماكس » من هناك سالماً والذهاب به إلى أي مكان أو العودة به إلى مصر، لتجري مبادلة الوثائق التي يحملها بما يطلبه من مال.

« م » : بالضبط.. هذا هو المطلوب تماماً.. ومن جانبنا فبعد مغادرة « ماكس » « موسكو » سنمنحه جواز سفر مصرياً ونجري له عملية تجميل لاخفاء ملامحه حتى يستطيع العيش آمناً بعد ذلك في أي مكان يرغبه في العالم.

ماجد: هناك سؤال أود طرحه يا سيدي.. إذا كان الأعداء يعرفون أن خرائطهم الملاحية العسكرية وتفاصيل قواتهم البحرية وأماكن غواصاتهم وملاجئها قد تسرّبت إلى الخارج وأن هناك إحتمالاً بحصولنا عليها، فلماذا لا يغيرون هذه الخطط

الملاحية وملاجئ الغواصات والموانئ العسكرية؟

ابتسم « م » ابتسامة واسعة وهو يقول: إن هذا سيكلّفهم عشرة آلاف مليون دولار على الأقل.

صفر « ماجد » بشفيته لضخامة المبلغ، وقال « م »: أرأيت لماذا يستميتون للحصول على هذه الوثائق قبل أن تقع في أيدينا.. إن ما سندفعه نحن ثمناً لهذه الوثائق سيبدو تافهاً أمام ما سيتكبّده الأعداء من مبالغ.. ولا شك أنهم سيتخلّون عن خططهم الرامية الى شراء صفقة الطائرة الشبح وهي أحدث مقاتلة في العالم فعلاوة على قدرتها القتالية العالية فهي لا يمكن رصدها بالرادار، واذا ما حصلنا على هذه الوثائق التي يملكها « ماكس »، فلا بد أنهم سيوجّهون ذلك المبلغ لتغيير خرائطهم الملاحية العسكرية وملاجئهم وغيرها.. وبهذا نوقف صفقة شرائهم لصفقة الطائرة الشبح.

ظهرت الجدية الشديدة على وجه « ماجد » وقال: لم أكن أدري أن مهمتي بمثل هذه الأهمية القصوى.

« م »: ولهذا كان اختياري لك لتقوم بهذه المهمة.. ومن أجل ذلك حاول الأعداء التخلّص منك حتى قبل أن تعلم بمهمتك أو تبدأها.

قال « ماجد » بوجه جامد : سأكون عند حُسن ظنك يا سيدي.. وحُسن ظن كل الذين وضعوا ثقتهم فيّ.

ربت « م » فوق يد « ماجد » وهو يقول : أنا واثق من ذلك يا « ماجد ».

وأخرج من درج مكتبه جواز سفر وتذاكر طائرة ومدّهما إلى « ماجد » قائلاً :

هذا جواز سفر مدوّن به عملك كتاجر فراء ذاهب إلى « موسكو » لشراء كمية من الفراء الروسي، وبالجواز تأشيرة دخول لمدة عشرة أيام، وتذكرة سفر إلى « براغ » ومنها إلى « موسكو ».. وسوف تُقلع طائرتك إلى « براغ » في التاسعة مساء.

ماجد: هل سأحصل على أي مساعدة من السفارة المصرية في موسكو؟

أجاب « م » بسرعة : لا.. تذكّر أنك لست سوى تاجر فراء، وتأكّد أيضاً أنك ستكون تحت المراقبة هناك حتى لو لم يشك بك أحد.. ونحن لا نريد أي مشاكل مع الروس، ولذلك ستدخل « موسكو » بصفتك تاجر فراء وستخرج منها بنفس الصفة بأي وسيلة ترغب، والمهم هو ألا تتسبب في مشكلة من أي نوع مع الروس، فإن علاقتنا بهم في الوقت الحالي

جيدة ونحن لا نريد أي توتّر.. هذا بالاضافة إلى أننا لا نملك أن نساعدك في « موسكو »، فليس لنا فيها أي عملاء، ولذلك يجب أن تضع كل خططك وتتصرّف على أساس انك وحيد لن تتلقّى مساعدة من جهة ما.

تساءل ماجد : وكيف سأصل إلى « ماكس »؟

« م » : سيصل هو إليك.. سوف تهبط في مطار « فينوكوفو » في « موسكو » غداً في الخامسة مساء.. وسترتدي معطفاً بني اللون أسفله بذلة رمادية وقبّعة رأس رمادية من فراء الثعالب، وسيكون هناك منديل أحمر في جيب معطفك العلوي.. وستجد كل هذه الأشياء في حقائبك التي تم شحنها باسمك منذ دقائق في طائرتك المتّجهة إلى « براغ ». أما أنت فسوف تتعرّف على « ماكس » بوردته الصفراء التي سيضعها في عروة سترته الزرقاء، وستتقابلان في مطعم « اوزبكستان » في « موسكو » في السابعة مساء الغد.

ونهض وهو يقول : تذكر يا « ماجد ».. انك تاجر فراء.. وليس أمامك سوى عشرة أيام للخروج من « موسكو » ومعك « ماكس » وفيلم الوثائق.. واننا لا نريد أي مشاكل مع الروس.

تناول « ماجد » جواز السفر وتذاكر الطائرة وقال : سأبذل كل جهدي يا سيدي.

حدّق « م » في عيني « ماجد » وهو يقول : ان الكثيرين هنا يتشوّقون لسماع أنباء طيّبة عنك.. وسأكون أشدّهم تلهّفاً على سماعها.

وصافح « م » « ماجد » بقوة واتجه « ماجد » نحو الباب قبل أن يوقفه صوت « م » وهو يقول :

تذكّر مرة أخرى.. انك لن تجد مساعدة من أي نوع هناك.. واننا سنُنكر معرفتنا بأي شيء عن العملية إذا ما انكشف عملك في « موسكو » ولن نقدم أي حماية لك... والروس لا يرحمون من يلعب فوق أرضهم أبداً.

لم يرد « ماجد »، وانفلت مغادراً المكان، وعيون رئيسه تتابعه وقد ضاقت بتعبير هو مزيج من الأمل والخوف والقلق الشديد. فقد كان يعرف أنه أرسل أفضل رجل لديه في مهمة.. مستحيلة!!

* * *

« داخل الستار الحديدي »

اقلعت طائرة الخطوط الانجليزية في التاسعة تماماً.. وكان هناك ضباب خفيف في ذلك الوقت من أواخر الشتاء فوق مطار القاهرة.

وجاءت المضيفة الحسناء بمشروب ساخن لـ « ماجد »، الذي أحكم غلق معطفه الصوفي حول صدره واسترخى في مقعده المريح يحتسي شرابه الدافئ.

كانت تلك هي الرحلة الأولى لـ « ماجد » إلى « موسكو »، وكان بجيبه قاموس صغير يحوي بعض الكلمات الهامة باللغة الروسية، وخريطة تبين حدود « موسكو ».. غير أنه كان متشوّقاً لرؤية العاصمة الروسية الواقعة في قلب الستار الحديدي، والتي لم يتح له زيارتها من قبل.

وأخرج القاموس الروسي وراح يحفظ بعض الكلمات به، ثم غلبه النعاس فأعاد القاموس الصغير إلى جيب معطفه وغرق في النوم فوراً.

واستيقظ بعد وقت على صوت الميكروفون الداخلي وكبير المضيفين يهنّئ المسافرين بسلامة الوصول إلى مطار « روزينيا » في العاصمة التشيسلوفاكية « براغ » ويطلب منهم ربط الأُحزمة للهبوط خلال عشر دقائق.

ربط « ماجد » حزامه وألقى بصره إلى خارج النافذة.. كان الوقت فجراً وقد غلف الضباب العاصمة النائمة في ذلك الوقت المبكّر.

شرعت الطائرة في الهبوط نحو اضواء ممر الهبوط الشاحبة، وظهرت على البعد بعض من معالم المدينة بمبانيها الحمراء ذات أسطح القرميد المنحدرة.. وقد لفّ العاصمة جو من الكآبة والبرودة مع تساقط قطع الثلج الجليدية بغزارة كست أوجه الشوارع واسطح المنازل ولمعت كشافات السيارات تحاول اختراق استار الثلج.

درجت الطائرة فوق الممر العريض المتّسع.. وكانت هناك سيارة أتوبيس كبيرة نقلت المسافرين إلى قلب مبنى المطار العريض، حيث غادره بعض ممن كانت وجهتهم النهائية « براغ » وبقي الآخرون المتّجهين إلى « موسكو » وكان « ماجد » ضمنهم.

وكان لا زال باقياً عدة ساعات على موعد اقلاع طائرة الخطوط السوفييتية إلى « موسكو »، وكان بجوار « ماجد » تأشيرة ترانزيت تتيح له مغادرة المطار إلى العاصمة تلك الساعات القلائل، ففضّل الحصول على قهوة ساخنة وافطار بأحد مطاعم « براغ ».

وبالفعل غادر المطار، وأشار إلى أول تاكسي وطلب من السائق بالانجليزية أن يأخذه الى أقرب مطعم، ولكن السائق اعتذر بأن الوقت لا يزال مبكراً ولم تفتح مطاعم العاصمة أبوابها بعد، فطلب منه « ماجد » التجوّل في طرقات وشوارع العاصمة ذات الحوانيت المغلقة والواجهات المكسوّة بالجليد.

وبعد ساعتين من التجوّل البطيء الممل كان « ماجد » يجلس في أحد المطاعم يتناول شطيرة تفاح ساخنة ويحتسي فنجان قهوة قدّمته له عاملة المطعم البدينة، التي بدا أنها العاملة والمشرفة وصاحبة المطعم في نفس الوقت، ولما لم يكن هناك زبائن آخرون عدا « ماجد » في ذلك الوقت المبكّر، فقد راحت السيدة البدينة ذات الوجه المتورّد المتفجّر بالدماء تذهب وتجيء لتمسح مائدته أو تبدّل له كوب الماء عدة مرات باهتمام غير عادي.

وفي النهاية ناولها حسابها خمسة دولارات كاملة، اختطفتها المرأة البدينة بلهفة كأنها عثرت على كنز.. وتلفّتت حولها في حذر قبل أن تخفيها في جيب خفي في ملابسها.. فان الدولارات من الأشياء الثمينة في العاصمة التشيسلوفاكية.

وبعد أن غادر « ماجد » المطعم بدقائق، دخله ثلاثة رجال بوجوه باردة حادة، وارتجفت صاحبة المطعم البدينة عندما شاهدتهم، ومدّ أحد الرجال الثلاثة يده ليستخرج ورقة الدولارات الخمس ودوّن أرقامها في دفتر معه، وألقى على السيدة البدينة عدة أسئلة اقسمت

خلالها السيدة أنها كانت ستسلم الدولارات وانها لم تتبادل مع الأجنبي أي حديث.

سار « ماجد » وقتاً تحت الثلج المتساقط، وقد أمتعه لهو الأطفال أمامه تحت الثلج المتساقط، وضحكات السائرين حوله لا يشغلهم سقوط الثلج وقد بدا أنه جزء من حياتهم وتكوينهم.

وأخيراً خطا إلى داخل المطار قبل موعد اقلاع الطائرة بنصف ساعة.. وأدهشه أن المسافرين معه كانوا جالسين بلا اهتمام يتناولون افطارهم أو يلعبون الشطرنج أو يتسلّون بقراءة الجرائد، كأنما ليس المفروض أن طائرتهم ستقلع خلال نصف ساعة.

واتضّحت له الحقيقة في النهاية بعد عدة استفسارات.. فقد كان هناك عطل بالطائرة، وأنها لن تغادر المكان قبل ساعتين!

هتف « ماجد » محتداً في موظّف الاستعلامات : كيف ذلك، إنني على موعد هام في « موسكو ».

رد الموظّف بلا اهتمام : إن كل المسافرين على موعد هام، وليس هناك شيء يمكن أن أقدّمه لك يا سيدي سوى أن أطلب منك الانتظار كبقية المسافرين، مع تمنياتنا برحلة سعيدة!!

وترك « ماجد » وانصرف لشأنه، وعرف « ماجد » أنه لا توجد أي فائدة من الاحتجاج، والتقى بصره بأبصار بقية المسافرين الذين

حملقوا به في صمت، كأنما ينصحونه بعدم الاحتجاج، إد أنه لن يُجدي شيئاً!

انضم « ماجد » إلى بقية المسافرين وقد عصفت به الأفكار في قلق شديد وهو يفكّر في أنه لو تخلّف عن موعده للقاء « ماكس » في مطعم « اوزيكستان » في السابعة تماماً لانهاء كل شيء ما استطاع العثور للرجل على أثر بعد ذلك.

ومضت الدقائق بطيئة قاتلة، وبعد ساعتين بالضبط تم النداء على ركاب طائرة « موسكو » للتوجه إليها، فهرول الركاب بغير نظام نحو الأتوبيس الذي سيقلّهم لسلم الطائرة.. وتبعهم « ماجد » وقد تضاعف قلقه.. واستقر أخيراً فوق مقعده في الطائرة العريضة، والقى نظرة إلى ساعته وحسب وقت السفر فعرف أن الطائرة لن تصل « موسكو » قبل السادسة والنصف، وأنه لن يكون لديه سوى نصف ساعة فقط للحاق « بماكس » في مطعم « أوزبكستان ».

وظلت عيناه معلّقة بساعته طوال الرحلة.. وفي السادسة والثلث تماماً ظهرت أضواء مطار « موسكو » من أسفل، وقد فرش الجليد كل شيء فظهرت الأرض من أسفل ناصعة البياض.

وجاء صوت مساعد الطيار يطلب ربط الأحزمة للهبوط فتنهّد « ماجد » بارتياح.. ودارت الطائرة دورتين فوق المطار، وشرعت في الهبوط ثم استقامت صاعدة إلى أعلى مرة أخرى، وراحت تدور دورة واسعة حول المطار بدون أن تحاول الهبوط ثانية.

اندهش « ماجد » والتفت إلى المضيفة الروسية التي مرت بالقرب منه وسألها بالانجليزية : لماذا لم تهبط الطائرة؟

ردت المضيفة بابتسامة واسعة فوق شفتيها : لقد غطت الثلوج ممر الهبوط بعد كسحه، وقد طلبوا منا عدم الهبوط لحين الانتهاء من كسحه وتنظيفه من الثلوج مرة أخرى.

تساءل « ماجد » بقلق : وكم يستغرق كسح ممر الهبوط؟

ردت المضيفة : من يدري.. إنها مسألة قد تستغرق وقتاً.

وغادرته المضيفة وقد تركته أشد قلقاً وتوتراً.. كانت كل دقيقة تمضي يعلم أنها قد تسبب فشل مهمته بالكامل.

وأخيراً شرعت الطائرة الضخمة في الهبوط، واستقرت فوق الممر في السابعة إلا عشر دقائق بالضبط.. ولم تكن هناك أي مشاكل في انهاء « ماجد » اجراءاته الجمركية فأسرع مغادراً المطار بعد أن بدّل الف دولار بقيمتها من الروبلات الروسية، وحمل حقائبه واستقل تاكسياً في الخارج وهتف في سائقه بلهفة بالانجليزية : إلى مطعم « اوزبكستان » من فضلك. فلم يكن هناك أي وقت للذهاب إلى الفندق وإيداع حقائبه هناك.

ولكن السائق نظر إليه في دهشة وظهر عليه انه لم يفهم كلمة واحدة مما قاله « ماجد »، وعرف « ماجد » أن السائق لا يجيد الانجليزية شأن أغلب الروس، وأسرع إلى قاموسه الصغير بحثاً عن



كلمة مطعم حتى وجدها ونطق بها للسائق وأعقبها باسم المطعم، فهز السائق رأسه عدة مرات دليلاً على الفهم، وأدار مفتاح سيارته وانطلق بها.

ألقى « ماجد » نظرة إلى ساعته.. السابعة والثلث.. انقضت عشرون دقيقة على موعده في المطعم والسيارة لا تزال تشق طريقها ببطء وسط الطريق الثلجي.

ولم تكن هناك إلا أعداد قليلة من السيارات حوله، والجو قد صار معتماً ملبّداً بالغيوم الكثيفة.. وقد تراصت غابات أشجار « الصنوبر » و « الأرز » و « الباتولا » على الجانبين تكسو قممها طبقات كثيفة من الثلج.. وأخيراً توقّفت السيارة أمام المطعم في الثامنة إلا الربع.

غادر « ماجد » سيارة التاكسي بسرعة ونقد سائقها أجرته، وحمل حقائبه إلى باب المطعم بلهفة بعد أن اطمأن إلى طاقية فرو الثعلب فوق رأسه والى معطفه الثقيل ومنديله الأحمر الظاهر في جيبه.. وجال « ماجد » بعينيه في وجوه الجالسين وهو يتساءل بقلق شديد، ترى ألا يزال « ماكس » المجهول ينتظره أم أنه يئس من مقدمه فغادر المطعم إلى غير رجعة.. ولكن، لم يكن أحد الجالسين يضع وردة صفراء فوق سترة زرقاء.. ولم يكن أمام « ماجد » سوى الانتظار فإتجه إلى مائدة خالية بركن المطعم وجلس فوقها ووضع حقائبه بجواره وقد تضاعف قلقه.. وجاء الجرسون يسأله عن طلبه فرد

« ماجد » باقتضاب بالكلمة الروسية التي التقطها من قاموسه « زاكوسكي » وكانت تعني مشهيات.. وفوجئ أن الجرسون عاد بعمق بعد دقائق يحمل صينية رُص فوقها ثلاثة أطباق كبيرة امتلأت بأُصناف اللحوم والأسماك والطيور والسجق والبيض والزيتون والفواكه والمخلّلات وقد لخبطت بعضها ببعض بطريقة عجيبة، ووضع الجرسون كل تلك الأشياء أمام « ماجد » بابتسامة عريضة.. فنظر إليه « ماجد » مندهشاً وهو يشير إلى اطباق الطعام متسائلاً فزادت ابتسامة الجرسون وهو يعيد كلمة ماجد : « زاكوسكي ». وأخرج « ماجد » قاموسه الصغير فوجد أن نفس الكلمة تشير إلى معنى السلاطة أيضاً، وان السلاطة الروسية تتضمن الأسماك واللحوم والبيض والمخلّلات والفواكه معاً في طبق واحد.

تظاهر « ماجد » بالأكل في صمت وعيناه ترقبان الجالسين، وتفحصهم جميعاً في صمت فوجدهم مشغولين بالطعام وقد انصرف كل إلى شأنه.

وانتبه بدهشة إلى الموسيقى الشرقية التي انبعثت من داخل المطعم لتلائم الجو الشرقي الذي أضفته هندسة المطعم وزخارفه الشرقية والاسلامية من منمّقات وتصاوير تشبه ما كان سائداً في العصر المملوكي في مصر.

تناول « ماجد » القليل من طعامه وقد تضاعف غضبه بشدّة وأيقن بفشل مهمّته قبل بدايتها، وأن « ماكس » قد انصرف بلا شك بعد

أن يئس من مجيء « ماجد »، وانه قد أصبح في موقف لا يُحسد عليه.

وفي الثامنة والربع نهض من مقعده ونقد الجرسون حسابه، وحمل حقائبه واتجه خارجاً من المطعم وأشار إلى أول تاكسي صادفه، وقبل أن يتّجه نحوه اعترضه شخص قصير القامة عريض البنية تلمع في عينيه نظرة دهاء واستوقفه قائلاً بانجليزية سليمة : أيمكنك أن تشعل لي سيجاراً يا سيدي؟ وانتبه « ماجد » إلى أن الرجل يرتدي سترة زرقاء، قد رشق في عروتها وردة صفراء.

* * *

« محاولة للقتل »

أخرج « ماجد » من جيب سترته ولاعة، وأشعلها وهو يقول بصوت خفيض : لقد تأخرت الطائرة بي.

رد « ماكس » وهو يتظاهر باشعال سيجارته : انتظرتك وخشيت أن أكون مراقباً فتركت المطعم وتسكّعت بالخارج، ورأيتك وأنت تدخل المطعم وفضّلت انتظارك هنا عند خروجك.

ودسّ في جيب معطف « ماجد » ورقة مطوية وهو يقول : سأراك فيما بعد فإن هناك من يتبعني.

وأسرع ينسلّ وسط الطريق البارد المظلم.. وتلفّت « ماجد » حوله فلم يلحظ أحداً، ولكنه كان موقناً من أنه توجد عيون قريبة تراقبه.

تقدّم سائق التاكسي وساعد « ماجد » في حمل حقائبه إلى التاكسي، واستقر « ماجد » في مقعده وقال للسائق : إلى أقرب فندق.

انطلق السائق بصمت، وحمد « ماجد » الله أن السائق يفهم الانجليزية، وبعد دقائق توقّف التاكسي في ميدان كبير، يحمل يافطة بالروسية قرأها ماجد : « أرباط ». وخمّن أنها لا بد وأن تعني « الرباط »، وقال السائق مفسّراً وهو يتناول النقود من ماجد : إن هذا المكان هو الذي رابطت فيه خيول جيوش التتار عندما غزوا « موسكو ».. ومن أجل هذا سُمي الميدان باسم « الرباط ».

وأشار إلى واجهة مضيئة لفندق فاخر قائلاً : وهذا هو فندق « السلام ».. انه أحد أفخر فنادق « موسكو ».

حمل « ماجد » حقائبه إلى مدخل الفندق فهرع إليه أحد عماله، وساعده في حملها إلى الداخل، وطلب « ماجد » من موظّف الحجز حجرة بحمام.

وتطلّع الموظف الى جواز سفر « ماجد » متسائلاً بالانجليزية : أهي المرة الأولى التي تزور فيها « موسكو » يا سيدي؟

رد ماجد : هذا صحيح.

رمقه الموظف بعيون متفحّصة وهو يقول : بالرغم أنك تاجر فراء؟

رد « ماجد » بهدوء : أتظن أن الفراء لا يباع الا في « موسكو » فقط؟

خفض الموظّف عينيه وواصل اجراءاته بصمت، وناول الجواز إلى « ماجد » وهو يقول : حجرة (٧٢٣).. انها تطل على الطريق.. وناول « ماجد » مفاتيح الحجرة.

قبل أن يتحرّك « ماجد » أكمل الموظّف بدون أن يرفع عينيه عن لوحة المقيمين أمامه : ولا تنسى يا سيدي تدوين اسمك في قسم الشرطة، حتى لا تقع تحت طائلة القانون الذي يعاقب الأجانب الذين يأتون إلى « موسكو » ولا يسجّلون اسماءهم في قسم الشرطة وعناوين اقامتهم وموعد مغادرتهم البلاد.

تحرّك « ماجد » بصمت واستقلّ مصعداً للطابق السابع ومعه عامل حمل الحقائب، وفي نهاية ممر طويل وجد حجرته رقم (٧٢٣) ففتح بابها ووضع العامل حقائب « ماجد » بداخلها فناوله « ماجد » عشرة روبلات بقشيش أخذها العامل بدون أن يُظهر أي شكر.

أغلق « ماجد » الباب خلفه، وأخرج الورقة المطوية التي دسّها له « ماكس »، والقى عليها نظرة فوجدها تذكرة لمشاهدة بالية « كسارة البندق » التي تقدّمها فرقة « البولشوي » أعظم فرق الباليه العالمية في التاسعة مساء الغد.

وابتسم « ماجد » وهو يعيد التذكرة إلى جيب سترته وقال لنفسه :
يبدو أن « ماكس » رجل ذو حس مرهف.

وخلع ملابسه الثقيلة وادار تكييف الحجرة، وفي هدوء شرع يبحث عن ميكروفونات للتصنّت فوجد احداها داخل زهرية صغيرة في مدخل الحجرة فتركها في موضعها فلم يكن منها خطر لأنه لن يتبادل الحديث مع أحد، وليس هناك ضيف سيزوره، بالاضافة إلى أنه لم يكن محتاجاً للتحدّث في الهاتف مع أحد.

وفتح حقائبه وأخرج منها عدّة الحلاقة التي تختفي بداخلها المتفجّرات ومسدّسه وذخيرته، ووضعها في كيس صغير أخفاه داخل زهرية كبيرة بجوار نافذة الحجرة.

واتجه « ماجد » إلى الحمام فأشعل السخان وأخذ دشاً ساخناً، وعندما خرج منه بعد ربع ساعة كانت نظرة واحدة إلى أشيائه التي أخرجها من حقائبه قد دلّته على أنها تعرّضت لتفتيش دقيق.. وتساءل « ماجد » في نفسه ترى أي جهة هي التي فتّشت حقائبه.. هل هم الروس أم الأمريكان أم الأعداء؟

وكانت الساعات التالية كفيلة بالاجابة على تساؤله!

* * *

في الصباح توجّه « ماجد » إلى قسم الشرطة وسجّل اسمه وعمله وسبب قدومه إلى « موسكو »، ولم تصادفه أي مشاكل هناك.

وخطر له أن يسأل الضابط المختصّ عن عنوان احدى شركات تأجير السيارات فسأله الضابط بدهشة :

ولماذا تريد أن تستأجر سيارة يا سيدي؟

رد ماجد : أريد أن أتجوّل في العاصمة.

الضابط: يمكنك أن تستقل تاكسياً.

ماجد: ولكنني أريد أن أقود السيارة بنفسي.

رد الضابط : هذا مؤسف يا سيدي.. إذ أننا لم نضع هذا الأمر
في اعتبارنا، ولذلك لم نصرح بافتتاح شركات لتأجير
السيارات للأجانب.

وكان الرد المهذّب يحمل في طياته ما يفيد بأنهم لا يمكن أن يسمحوا للأجانب بالتجوّل هنا وهناك.

ولم يعلّق « ماجد » على حديث الضابط، وغادر المكان، وفكّر أن يقضي بقية يومه في مشاهدة معالم العاصمة الشهيرة، فاستقلّ تاكسياً إلى « الميدان الأحمر »، وكان هناك عدد من السياح الذين انشغلوا بتصوير الميدان الكبير ومبنى « الكرملين » الضخم — وهو يعني القلعة الكبيرة — بقبابه العالية والتي كانت مقراً لقياصرة روسيا قبل قيام الثورة الروسية.. وراوده شعور أنه مراقب.. وكان حوله المئات من الأجانب والسيّاح والوطنيين في الميدان الكبير، فلم يتح له التأكّد من احساسه واكتشاف مراقبيه.

ووقف مندهشاً يشاهد الطوابير التي تمتدّ عدّة كيلومترات من الأشخاص الذين وقفوا وسط البرد القارس والثلوج المتساقطة لالقاء نظرة على قبر « لينين » مؤسس الدولة الروسية الحديثة.

وانتهى « ماجد » من تجواله في الميدان الأحمر — أكبر ميادين العالم — والحدائق المحيطة به في الخامسة ظهراً، فاستقل تاكسياً عائداً إلى الفندق حيث تناول غداءه واتّج إلى حجرته ليأخذ قسطاً من الراحة شأن أي سائح..

وفي الثامنة غادر الفندق، وأشار إلى تاكسي قريب، وما كاد يخطو نحوه حتى رأرت عجلات سيارة من الخلف، واندفعت سيارة مطموسة اللوحات ومسدلة النوافذ نحوه بسرعة رهيبة، وفي اللحظة المناسبة قفز « ماجد » إلى الخلف بعيداً عن مسار السيارة، وانفتحت نافذة في السيارة المهاجمة وبرز منها مسدّس كاتم للصوت وانطلقت منه دفعة رصاصات متلاحقة استقرّت كلها في الحائط خلف ظهر « ماجد ».. قبل أن تختفي السيارة بنفس السرعة..

على الفور نهض « ماجد » من مكانه، وأسرع مبتعداً بخطوات سريعة قبل مجيء الشرطة الروسية ورجال المخابرات، والذين لا بد سيحاصرونه بشكوكهم وأسئلتهم، ولم يكن لديه أي وقت لذلك. وأشار لتاكسي آخر في طرف الميدان وأمر سائقه بالتوجّه إلى مسرح « البولشوي ».. وغرق في أفكاره طوال الطريق وقد تأكّد من أسلوب مهاجمته أن المخابرات الأمريكية قد شرعت في التخلّص منه هي الأخرى بأي ثمن!

* * *

« داخل البولشوي العظيم »

تعتبر فرقة « البولشوي » الروسية للباليه من أعظم فرق الباليه في العالم، وتفوق مثيلاتها من فرق الباليه في « لندن » و « روما » و « نيويورك ».. ويمتاز نجومها وفنانوها بحس فنّي عالي مرهف.. كما يُعتبر مسرح « البولشوي » الروسي من أعظم المسارح العالمية ويبدو مبناه من الخارج بأعمدته الضخمة المهيبة ونقوشه البارزة شيئاً مهيباً، أما من الداخل فكان شيئاً مذهلاً، بتماثيله المرمرية ولوحاته الفنيّة وثرياته التي يصل قطر بعضها إلى عشرة امتار كاملة.. وبدا المسرح كأنه أعظم قصور القيصر الراحل.

وجاء مقعد « ماجد » في الصف الثالث من واجهة المسرح، وكانت المقاعد غاصة بجمهور المتفرّجين من علية الطبقات في « موسكو »، وقد ازدانت بعض السيدات بالمجوهرات الثمينة والفراء الغالي، على حين كان الحاضرون من الرجال يتباهون بحللهم الفاخرة المستوردة من باريس أو ساعاتهم الدقيقة من سويسرا.

توقّع « ماجد » أن يجد المقعد المجاور له شاغراً، وقد فكّر في أن « ماكس » لا بد قد حجز مقعدين متجاورين ليتمكّن من الحديث معه، ولكنه وجد المقعد محتلاً من سيدة عجوز شمطاء ذات نظرة تدل على الاستعلاء الشديد كأن قيصر روسيا السابق ابن عمها أو زوج أمها!

بدأ العرض في العاشرة تماماً.. وكان الباليه المعروض هو « كسارة البندق ».

وما أن ظهر فنانو العرض حتى دوّى تصفيق رهيب من جمهور الحاضرين دام دقائق كاملة، وأكّد لماجد ما تتمتع به الفنون وخاصة فن الباليه الراقي من احترام في روسيا.

وبدأ العرض بموسيقى حية لأكثر من مائتي عازف جلسوا أمام المسرح يحجبهم عن النظارة حائط خشبي سميك.

ولم يكن من وسيلة أمام « ماجد » سوى الانتظار فجلس على مضض وهو لا يدري الوسيلة التي سيقابل بها « ماكس ».. ومضت الدقائق وما لبث قلق « ماجد » أن تلاشى رويداً واندمج كلياً مع عرض الباليه الرائع، والراقصون والراقصات بدوا كما لو كانوا فراشات تطير في الهواء بخفة عجيبة وأناملهن وأقدامهن تتحرّك بقدر محسوب بدقّة لا مثيل لها خاصة نجمة العرض « ايفانا بافلوفتش ».

وكان « ماجد » قد شاهد نفس عرض الباليه فوق مسارح « لندن »

و « باريس »، ولكن ما يراه في تلك اللحظة كان شيئاً آخر.. شيئاً فريداً لا يمكن وصفه بأي حال من الأحوال.

وما لبث أن هبط الستار بعد انتهاء الفصل الأول.. ونهضت جمهرة من الحاضرين إلى قاعات التدخين اذ لم يكن مسموحاً به في قلب الصالة فغادر « ماجد » مكانه آملاً أن يشاهد « ماكس ».

وكانت ملامح الرجل منطبعة بشدّة في ذهن « ماجد » برغم اللحظة الخاطفة التي تحدّث فيها إليه بالأمس.. وبالفعل فقد لمحه واقفاً في أحد أركان قاعة التدخين الواسعة وقد ارتدى معطفاً ثقيلاً أخفى نصف ملامحه وارتدى نظارة عريضة أخفت عينيه، ولكن « ماجد » تعرّف عليه برغم ذلك واقترب منه، وتظاهر باشعال سيجارة منه وهمس له : توقعت أن أجدك في المقعد المجاور لي.

همس ماكس : انهم يراقبونني ولا أريدهم أن ينتبهوا إليك.

رد « ماجد » مبتسماً : من المؤسف أنهم يفعلون نفس الشيء معي.

ظهرت علامات الاندهاش على وجه « ماكس » وهتف بقلق : ان هذا يضعنا في مأزق واحد.

ماجد: لا عليك.. لقد تعوّدت المآزق.. المهم أن نجد مكاناً للتحدّث فيه بحرية.

وكان أغلب المدخّنين قد عادوا إلى مقاعدهم بعد أن علا جرس

ينبئ بقرب عرض الفصل الثاني فهمس « ماكس » لماجد : اتبعني.

وسار في حذر و « ماجد » يتبعه، ودخلا ممراً قصيراً ثم انحرفا في ممر آخر، واتجه « ماكس » إلى احدى الحجرات وفتحها فتبعه « ماجد » في صمت.

كانت الحجرة واسعة بها مرآة عريضة أمامها عطور وكريمات ومساحيق، وقد تناثرت هنا وهناك بعض الملابس النسائية.

أغلق « ماكس » الباب بحذر وقال شارحاً : هذه حجرة نجمة العرض « ايفانا بافلوفتش » وهي لن تزعجنا بمجيئها لأنها تؤدّي الفصل الثاني بالكامل.. لقد جئت إلى هنا مرتين من قبل وأعرف كل شبر فيه.

ونظر في ساعته ثم قال : أمامنا أربعون دقيقة بالضبط لنغادر هذا المكان.

تساءل « ماجد » بعيون ضيّقة : ألا يزال الميكروفيلم بحوزتك؟

هتف « ماكس » محتجاً : وماذا تظن.. أتعتقد أنهم كانوا يتركونني حراً طليقاً لو لم يكن بحوزتي..

وأكمل بقلق : لقد فتّشوا حجرتي ألف مرة ولكنهم لم يعثروا عليه أبداً.

ماجد: من هم؟

ماكس: وما يدريني.. ان ثلاث جهات تطاردني.

ماجد: لقد تعرّضت لمحاولة لقتلي وأنا قادم إليك.

رفع « ماكس » حاجبيه منزعجاً وهتف : هذا يزيد الأمر سوءاً.. انني أحس أيضاً أنهم بدأوا يملّون تلك اللعبة معي وربما ينشبون مخالبهم في عنقي قريباً.

وقبض على ذراع « ماجد » بأصابع قاسية وهتف فيه بعيون متحجّرة : انني أريد مغادرة هذا المكان إلى الأبد.. اتفهمني.. أريد أن أغادر هذه البلاد.. كان خطأً كبيراً من أن آتي إلى هنا.. انني أعيش في رعب قاتل.. يجب أن أغادر هذا المكان فوراً والا أصابني الجنون.

ماجد: إن الأمر ليس بالبساطة التي تتصوّرها.

هتف « ماكس » بحنق : هل أرسلوك لتخبرني بما أعرفه.. لو كنت أعرف أن خروجي من هنا أمراً سهلاً ما اشترطت مبادلتي الميكروفيلم باخراجكم لي من هنا كجزء من الصفقة.

وبصوت كالفحيح أكمل : انني مستعد أن أتنازل عن عشرة ملايين دولار من ثمن الميكروفيلم لأخرج حياً من هذا البلد.

ساد الصمت برهة، وقال « ماجد » مفكّراً بعد لحظات : سأحاول

أن أجد وسيلة لاخراجك من البلاد.. ومن المؤسف فقدانك لجواز سفرك.

ماكس: ان كل شي مؤسف حولي.. ويبدو أن مجيئك قد عقّد الأمور بدلاً من تسهيلها.. لقد بدأوا يشدّدون رقابتهم عليّ وأحس أنهم سينقضون عليّ سريعاً ربما خوفاً من أن تنجح في اخراجي من البلاد.

وسمع الاثنان حركة في الخارج فهتف « ماجد » بقلق : هناك من يقترب من الحجرة.

وأسرع الاثنان يختبئان خلف صوان ملابس « ايفانا »، وانفتح باب الحجرة وأطلّ في مدخلها وجه متجهّم قاس كانت يده قابضة على شيء في جيب معطفه الثقيل، وكان لا شك مسدّس سريع الطلقات، وألقى داخل الحجرة نظرة قاسية مسترييبة قبل أن يغادرها ويغلق الباب خلفه.

تنفّس « ماكس » بصعوبة وجفّف عرقه وهو يقول : انهم رجال المخابرات الروسية.. هذا لا شك فيه.. لا بد أنهم اكتشفوا غيابنا عن العرض فسعوا خلفنا.

قال « ماجد » بقلق : هذا يدل على أنهم يزمعون أخذ خطوات جادة، دعنا نغادر هذا المكان فوراً.

واتجه « ماجد » إلى باب الحجرة بحذر وفتحه، لم يكن هناك

أحد بالخارج فأشار إلى « ماكس » بالخروج فتبعه في تردد.. وقبض « ماجد » على مسدّسه بيده اليمنى المدسوسة في جيب معطفه وأراح زر الأمان متأهّباً لاستخدام مسدّسه في أي لحظة.

سار الاثنان في عدة ممرات، وأشار « ماكس » إلى احداها هاتفاً بهمس : إن نهاية هذا الممر تؤدي إلى الخارج.

وفي حذر اقترب الاثنان من نهاية الممر الذي يسدّه باب يفضي إلى الطريق، وكان الباب مُغلقاً، فأخرج « ماجد » مطواة صغيرة راح يعبث بها في قفل الباب.. وما لبث الباب أن انفتح بعد دقيقتين.. دفع « ماجد » الباب ببطء ومن خلال الفتحة الصغيرة لمح أحد رجال المخابرات الروسية واقفاً وظهره للباب وقد راح يشمل المكان بنظرة مسترِيبة.. وعلى البعد كان هناك رجل آخر وسيارة روسية من طراز « فولجا » تابعة لرجال المخابرات.

همس « ماجد » لماكس : انهم بالخارج.

ارتعد « ماكس » وهو يقول : وماذا نفعل الآن.. لو خرجنا لأمسكوا بنا وما استطعنا الهرب منهم.

وفكّر « ماجد ».. كان « ماكس » محقاً.. وجاءته فكرة فهتف : من الأفضل لنا الانتظار لحين انتهاء العرض، وعندما يتّجه الحاضرون خارجين نندسّ وسطهم ولن يلمحنا أحد وسط المئات.

وافق « ماكس » على مضض، وانتظر بقلق وتوتّر شديدين وهو يلقي نظرة إلى ساعته كل دقيقة، ولحسن حظهما لم يعبر أحد العاملين الممر أو يقترب منهما.. وانقضى الوقت ببطء.. وأخيراً هتف « ماجد » بعيون متألّقة : سينتهي العرض تواً.

وما كاد يتم عبارته حتى دوّى تصفيق حاد هزّ المكان..

وهمس « ماكس » وهو ينظر في ساعته : ان نجوم الفرقة يتلقّون التحية الآن.. سوف يستغرق التصفيق ستة دقائق بالضبط.

استمع « ماجد » للرد بدون أن يظهر عليه أي مشاعر من الدهشة.. وبالفعل بعد ست دقائق خف هدير التصفيق الحاد.. وشاهد « ماجد » جمهور المشاهدين يخرجون من الباب الرئيسي على مسافة أمتار من الباب الذي اختفيا خلفه.

وما لبثت الساحة أمام المسرح أن امتلأت بالجمهور، وكان رجال المخابرات الروسية لا يزالون واقفين يتفحّصون الخارجين بريبة شديدة، وهمس « ماجد » لماكس : هيا بنا.

وأسرع ينسلّ خارجاً من الباب و « ماكس » خلفه بدون أن ينتبه إليهما رجل المخابرات الروسية القريب الذي أعطاهما ظهره.

رفع الاثنان ياقتهما عالياً وسارا باتجاه طرف الميدان، وكادا يعبرانه حتى أوقفهما صوت من الخلف بالانجليزية هاتفاً في حدة : أنتما أيها الرفيقان!

تجاهل « ماجد » و « ماكس » النداء، وأسرعا في السير، ومن الخلف سقطت فوق كتفيهما يدان ثقيلتان فالتفتا إلى الخلف، وطالعهما وجه بارد لأحد الضباط الروس، وتفرّس فيهما الضابط بعيون زرقاء صافية ثم قال بابتسامة واسعة : أتسمحان لي بالاطلاع على أوراقكما؟

ارتعد « ماكس »، وقال « ماجد » محتجاً : اننا أجنبيان.

رد الضابط بابتسامة ساخرة : هذا بديهي وإلا ما كنت خاطبتكما بالانجليزية.

هتف « ماجد » محتجاً : وما الداعي للتفتيش.. اننا لم نخالف القانون في شيء.

قاطعه ضابط المخابرات الروسي قائلاً : وما الذي يقلقكما من التفتيش اذن؟

وأشار برأسه، وعلى الفور ظهر مسلّحان بمدافع رشاشة من الخلف، وهتف الضابط في رجليه المسلّحين : فتّشا هذين السيدين.

كانت لحظة حاسمة، وتقدّم المسلحان نحو « ماجد » و « ماكس » ومدفعاهما مصوّبان نحوهما، وعلى الفور طارت قدم « ماجد » في وجه المسلّح الأول، واطاحت يده بالمدفع من المسلح الثاني، وجذب « ماكس » من يده واندفع الاثنان وسط جموع الخارجين من المسرح.

وعلى الفور انقلب الميدان إلى صخب وضجيج.. ودوت بعض الطلقات فهتف الضابط فيمن اطلقها ليوقف اطلاق الرصاص لئلا يصاب الجمهور.

أما ما حدث بعد ذلك فكان في صالح « ماكس » و « ماجد » تماماً.. فقد اصاب الجمهور الذعر الشديد لطلقات الرصاص فاندفعوا في كل اتجاه وتعالت أصوات الصرخات.

وانتهز « ماجد » الفرصة، وأسرع نحو أقرب سيارة وكانت تحمل لوحات دبلوماسية وفتح حقيبتها واندس بها ومعه « ماكس » وأغلقها خلفه.

وكتم الاثنان أنفاسهما، وسمعا بالخارج أصوات هرولة وأصوات زاعقة بالروسية..

ومرت دقائق ثم أحس الاثنان بحركة فتح باب السيارة.. وما لبث محرّكها أن دار.. وبدأت السيارة في التحرّك مبتعدة عن الميدان.

أغمض « ماجد » عينيه في راحة، على حين كان « ماكس » يرتعد بشدّة.

وبعد أقل من نصف ساعة توقّفت السيارة وهبط ركابها، ثم قادها سائقها إلى داخل جراج صغير وأغلق بابه خلفه.

فتح « ماجد » حقيبة السيارة بحذر واطل منها.. كان الجراج

الضيّق معتماً فخرج من السيارة وتبعه « ماكس ».. وبحذر فتح باب الجراج المغلق بعد أن عالجه بمهارة برغم الظلام.. وانسل الاثنان إلى الخارج وتنفّسا الهواء النقي البارد.

تساءل « ماكس » بقلق شديد : أين سنذهب الآن؟

ولم يكن لدى « ماجد » اجابة.. فقد كان يعلم أن الذهاب إلى أي مكان يحمل مجازفة كبيرة، ولا شك أن المخابرات الروسية تنقب عنهما في كل أرجاء العاصمة، وقد فرضت حصاراً رهيباً لتمنعهما من مغادرتها بأي وسيلة.. لقد صار داخل الستار الحديدي بالفعل.

« الحصار »

همس « ماكس » وبدنه يرتجف : ماذا سنفعل الآن.. لا بد أنهم يبحثون عنا في كل مكان.

ظهر القلق على وجه « ماجد »، كان « ماكس » محقاً في حديثه، فلا شك أن أطراف « موسكو » قد تحوّلت إلى ثكنة عسكرية مليئة بالجنود ليلقوا القبض عليهما فور محاولتهما مغادرتها.

قال « ماجد » بتمهّل : لا أظن أننا نستطيع مغادرة « موسكو » الآن بأي حال من الأحوال.. من الأفضل لنا البقاء داخل العاصمة يومين أو ثلاثة إلى أن تستقرّ الأمور.

ماكس: وأين سنقضي هذه الفترة.. اننا لن نستطيع أن نلجأ إلى فندق أو أي منزل فإن للمخابرات الروسية عيوناً في كل مكان.

تذكر « ماجد » لوحات السيارة الدبلوماسية التي اختبأ بها وقال باسماً : لا أظن أننا مضطرون للذهاب بعيداً.

تساءل ماكس : ماذا تقصد؟

تطلّع « ماجد » حوله وهو يقول : فيما أظن فهذا المنزل تشغله أسر أحد الدبلوماسيين الأجانب، ولا أظن أننا سنجد حماية أفضل من هذا المكان، فالمخابرات الروسية لا تعرف عنه شيئاً، بالاضافة إلى تمتّعه بالحصانة الدبلوماسية.. هذا غير أن هذا المسكن لحسن حظّنا يقع على اطراف العاصمة ولا توجد حولنا سوى الغابات، وبذلك سنأمن شر الفضوليين.

ماكس: أتقصد أننا سنختفي في هذا المكان؟

رد ماجد : ألديك حل أفضل؟

سكت « ماكس » ولم يرد، وتطلّع حوله بفضول وقلق. وشمل « ماجد » المكان بنظرة سريعة، كان المسكن مكوّناً من طابقين من الخشب تحيطه حديقة واسعة بها بعض الأشجار العالية التي تحجب المنزل عن الطريق، وكانت هناك حجرة وحيدة مضاءة بالطابق الثاني.

التفت « ماجد » « لماكس » وقال بصوت خفيض : دعنا نستكشف المكان أولاً.

وتسلّل عبر باب الفيلا الخلفي المؤدي إلى المطبخ.. كان المكان مظلماً فاضاء « ماجد » عود ثقاب وأخذ طريقه خارج المطبخ وخلفه

« ماكس ». وقابلا ردهة واسعة تجاوزاها إلى سلم صاعد لأعلى، وبهدوء وذعر راح الاثنان يصعدان لأعلى.. وفي نهاية السلم انكشفت أمامهما الحجرة المضاءة.. وتعالى من احداها صوت نسائي حاد بالايطالية في سخط وغضب يقول : انني أكاد أجن لهؤلاء القوم.. ماذا يتوقّعون أن يجدوا في علب الفاصوليا حتى يفتحوها قبل أن يسمحوا لنا باستلامها؟

وجاء صوت رقيق يرد بنفس اللغة : هذه هي عادتهم يا سيدتي.

عاد الصوت الحاد الصاخب يقول بسخط أشد : يا لهم من قوم.. انهم لا يزالون يستعملون طرقهم العتيقة.. ان هذا يفسّر تصرّفهم الأحمق.. لقد كادوا يقتلوننا برصاصاتهم الطائشة، ألا يكفي أنني انتظرت شهراً لأحصل على هذه التذكرة الملعونة ثم يفاجئونا باطلاق الرصاص علينا.. لو علمت حكومتي بالأمر لأقامت الدنيا وأقعدتها.

جاء الصوت الرقيق يقول : لا داعي يا سيدتي فإن الأمور لا تحتاج إلى مزيد من التوتّر.

وظهرت في تلك اللحظة خارجة من الحجرة المضاءة سيدة عجوز شمطاء.. كانت نفس السيدة التي جاورت « ماجد » في مقعده بمسرح « البولشوي »!

وهتفت العجوز بسخط : انني أريد أن أشعلها ناراً.. سأرسل إلى

حكومتي وأخبرها أنهم كانوا يريدون اغتيالي.. هذا لا شك فيه.. ولولا انني أسرعت بمغادرة المكان فمن كان يدري ماذا كان سيحدث لي، وذلك الضابط الأحمق الذي أراد تفتيش سيارتي.. يا لهؤلاء القوم، أيتوقع أنني أخفيت فيها دباً قطبياً؟

همس « ماكس » لماجد : انها القائمة بأعمال السفير الايطالي الذي غادر البلاد بعد انتهاء عمله.. وهي مشهورة باثارتها المتاكل مع السلطات الروسية دائماً.

ماجد: هذا واضح وهو لحسن حظنا.

وظهرت فتاة في حوالي الخامسة والعشرين بتقاطيع حلوة فخمّن « ماجد » أنها سكرتيرتها، وقالت الفتاة لسيّدتها : أتودين مني شيئاً آخر يا سيدتي؟

ردت العجوز : لا.. ولا تزعجيني بأي شيء آخر، دعيني أستيقظ على راحتي وليذهب الجميع إلى الجحيم.. هؤلاء المجانين.. أقسم لأشعلها حرباً عالمية ثالثة.. أيريدون اغتيالي في وضح النهار؟

قالت السكرتيرة الحسناء معترضة : ولكن الوقت كان ليلاً يا سيدتي؟

هتفت العجوز معترضة : ولكنه نهار في روما.. المهم هو توقيتنا نحن لا هم.. لسوف يرون أي سيدة أكون أنا.. لقد كنت

بطلة في المقاومة الشعبية وصرعت أحد الأعداء بركلة واحدة من حذائي!

واستدارت داخلة إلى حجرتها وأضاءت نورها.. وبعد لحظات أطفأت النور وساد سكون شامل وظلام إلا من ضوء لمبة شاحبة في طرقة الطابق الثاني.

غمغم « ماجد » براحة : ان الأمور ليست بمثل السوء الذي توقّعناه.

تثاءب « ماكس » وهو يقول : انني أريد النوم.. يبح أن نبحث عن أي مكان للنوم.

وتقدم في الطرقة فتعثّر في طرف السجادة وسقط فوق الأرض بصوت مكتوم فأسرع « ماجد » نحوه وهتف به : كن حذراً.. ربما تشكونا هذه السيدة لمجلس الأمن إذا ما اكتشفت وجودنا هنا!

وسارا بحذر إلى نهاية الممر.. وكانت فيه عدّة حجرات مظلمة، وقصد « ماجد » الحجرة الأخيرة وكان بها فراش وحيد ولها نافذة تطلّ على الحديقة الخارجية.

همس ماجد : ان هذه الحجرة تصلح مؤقتاً.. ويجب أن نستيقظ مبكراً ونختبئ في أي مكان فربما جاءت احدى الخادمات لتنظيف المكان أو اعادة ترتيبه.

وضبط « ماجد » ساعته لتوقظه في السادسة صباحاً بواسطة ترس صغير

في مؤخرتها كان يضغط فوق ساعده في اللحظة المطلوبة فيوقظه في الحال.

وتمدّد الاثنان فوق الفراش في صمت برغم الجو البارد.. وسرعان ما غرق « ماكس » في النوم وتعالى صوت غطيطه بشكل مزعج.. ولم يكن ذلك أمراً مقلقاً « لماجد » فقد كان باستطاعته النوم تحت أسوأ الظروف، وكان أكثر ما يشغله هو التطوّرات غير المتوقّعة التي جرت سريعاً، ومر وقت بدون أن يغمض له جفن.. وانتبه على اصوات مختلطة مشوّشة سمعها في الخارج.. كان « ماكس » لا يزال يغط بصوت أشبه بآلة « فلوت » معطوبة.

غادر « ماجد » فراشه، واتجه الى نافذة الحجرة، وألقى نظرة إلى الخارج من ركنها فشاهد حول الفيلا أشباح سيارات وأشخاص في ملابس ثقيلة وأحدهم وهو يتحدّث بالروسية آمراً ويشير بيديه اشارات عصبية، وفي الحال تفرّق بضعة أشخاص ليطوّقوا المنزل من كل الأركان شاهرين مسدّساتهم متأهّبين.

تصاعدت دقات قلب « ماجد » وقد عرف أن هؤلاء الأشخاص تابعين للمخابرات الروسية. واندفع أحد الضباط ومعه بعض الجنود داخلين إلى المنزل.. وسمع « ماجد » صوت أحذيتهم الثقيلة فوق أرضية السلم الخشبي وهم يصعدون لأعلى.

أسرع « ماجد » يوقظ « ماكس » الذي فتح عينيه مفزوعاً فأشار

له « ماجد » ألا يصدر صوتاً.. وتناهى إلى آذانهما اصوات الجنود الصاعدين لأعلى، وتساءل « ماكس » بعيون واسعة مذعورة : ماذا يحدث هنا؟

أشار « ماجد » إلى خارج النافذة، وما أن ألقى « ماكس » نظرة إلى الخارج وشاهد السيارات المسلّحة حتى هتف بذعر : هل هم رجال المخابرات الروسية؟

رد ماجد : هذا لا شك به.

وتعالى صوت ضابط المخابرات الروسي وهو يتحدّث مع رجاله يأمرهم بتفتيش المنزل، وأسرع أحد الجنود فأضاء المنزل، وخرجت السكرتيرة الحسناء ذاهلة وهتفت في الضابط : ماذا تفعلون هنا يا سيدي؟

رد الضابط بغلظة : اننا نفتش المنزل.

قالت الفتاة محتجّة : هذا منزل ديبلوماسي يتمتّع بالحصانة.. إن هذا ضد العرف ونصوص معاهدة « جنيف »!

رد الضابط بصوت غير مكترث : ان كل ما هو داخل بلادنا يخضع لقوانينا نحن.

أطلّ « ماجد » من فرجة الباب بحذر، فشاهد العجوز الايطالية وهي تخرج من حجرتها بمنامتها على أثر أصوات الجنود وجلبتهم

في الخارج، وما أن وقع بصرها عليهم حتى اتّسعت عيناها كأنها تشاهد جنيًّا، والتفتت إلى سكرتيرتها ذاهلة وهي تسألها : ماذا يفعل هؤلاء الجنود هنا؟

ردّت السكرتيرة وهي ترتجف : لقد جاءوا لتفتيش المنزل يا سيدتي.

صرخت العجوز : ماذا.. يفتشون المنزل.. لقد تجاوزوا الحد هذه المرة.. ألم يكفهم التنقيب في علب الصلصة والفاصوليا حتى يفتشوا المنزل؟

واندفعت نحو الضابط ودفعته في كتفه بيدها النحيلة هاتفة في احتجاج : ألا ترون أي منزل هذا الذي تفتّشونه، سوف أقلبها فوق رؤوسكم جحيماً.. ألا يكفيكم ما حاولتموه أمام الأوبرا هذا المساء.. لقد وضح الأمر اذن، إنكم تصرّون على اغتيالي بأي وسيلة.

أزاح الضابط يد العجوز بهدوء وقال : لا داع لهذا العنف يا سيدتي، اننا نبحث عن هاربين جاءتنا معلومات انهما يختبئان هنا.

صاحت العجوز محتجّة : اتظنان أن مسكني مأوى للفارين والهاربين.. أليست لديكم حجج أفضل لتفتيش المنازل في منتصف الليل.. لقد صار الأمر أكثر من أن يحتمل السكوت.. سوف أبرق لحكومتي و ...

قاطعها الضابط بغلظة : تستطيعين أن تبرقي لحكومتك أو لأي حكومة تشائين في الصباح.. أما الآن فسنفتّش المسكن.

أمسكت العجوز بعصا قصيرة مما تستعمل لتنظيف الأثاث ورفعتها في وجه الضابط مهدّدة وهي تقول له : حاول أن تفعل ذلك وسترى ما يجري لك.. لقد كنت بطلة في المقاومة الشعبية منذ أربعين عاماً، وقد صرعت أحد جنود الأعداء بحذائي و ..

أشار الضابط لأحد جنوده فاندفع الجندي شاهراً مدفعه الرشاش في وجه العجوز، فتراجعت إلى الخلف في ذعر حتى اصطدمت بالحائط وقد فغرت فمها من الرعب ورفعت يديها أعلى ما يكون!

أشار الضابط مرة أخرى إلى جنوده، فاندفعوا نحو الغرف شاهرين مدافعهم الرشاشة..

ارتعد « ماكس » بشدة وهو يشاهد الجنود المسلّحين يقتربون من حجرته وهتف في ماجد : ماذا ستفعل الآن.. سوف يعتقلوننا.

تألّقت عينا « ماجد » وهتف : ليس أمامنا سوى تصرّف وحيد.

واتجه نحو نافذة الحجرة وفتحها فلفح وجهه صقيع بارد، وتساءل « ماكس » بذعر : ماذا سنفعل؟

رد « ماجد » بحسم : سنقفز إلى الحديقة ثم نسارع بالهرب باستخدام احدى سياراتهم.

قال « ماكس » بذعر : سوف يقتلوننا برصاصهم قبل أن نتمكّن من عمل أي شيء.. هذا إن لم يدق عنقانا للسقوط من هذا الارتفاع.

دفع « ماجد » « ماكس » بغلظة وهو يقول : لا تكن مثل فأر مذعور.. إن حياتي متوقّفة على حياتك أيضاً.

وأشار إلى « ماكس » الذي اعتلى النافذة بخوف ظاهر، ثم ألقى بنفسه إلى أسفل، وعلى الفور القى « ماجد » بنفسه خلفه، وسقط الاثنان على الأرض، وتدحرجا بعيداً.. وجذب صوت سقوطهما وارتطامهما بالأرض أسماع الجنود الواقفين بالخارج فأسرعوا إلى مكانيهما واطلق بعضهم الرصاص.

جذب « ماجد » « ماكس » من يده هاتفاً به : هيا بنا.

وتسلّلا بسرعة عبر أشجار الحديقة وقد ساعدهما الظلام على الاختفاء.

وتسلّق « ماجد » سور الحديقة، وساعد « ماكس » ليتبعه، ودوت عدّة رصاصات حولهما، وألقى « ماجد » بنفسه إلى الناحية الأخرى و « ماكس » خلفه لاهثاً.

وصرخ « ماجد » في ماكس : أسرع إلى احدى سياراتهم واقترب بها.. سوف أحميك بمسدّسي.



ظهر التردد على وجه « ماكس »، ولكن الرصاص الذي انهمر حولهما من كل مكان دفعه لأن يجري كما لو كانت الشياطين تطارده.

وصل « ماكس » إلى السيارة وأدارها.. فتدحرج « ماجد » على الأرض مقترباً منها وتعلّق بمؤخّرتها ثم ألقى بنفسه داخلها ودوت عشرات الرصاصات خلفه، وانحرف « ماكس » بالسيارة ليتفادى الرصاص فانغرزت عجلات السيارة داخل طبقة سميكة من الجليد وتوقّفت.

هتف « ماجد » بسخط : يا لهذه الليلة المشئومة.

وكان هناك عشرات الجنود يجرون باتجاههما.. وأزاح « ماجد » « ماكس » وجلس إلى مقعد القيادة وأدار مفتاح التشغيل وضغط فوق دواسة البنزين فاندفعت السيارة إلى الخلف بقوة لتصدم اقرب المهاجمين وتلقيه بعيداً، ثم اندفعت السيارة للأمام بسرعة شديدة، وصرخ ضابط المخابرات في رجاله، وعلى الفور تحرّكت خمس سيارات كبيرة تقتفي أثر سيارة « ماجد »، وقد انهمر الرصاص حول السيارة كالمطر حتى بدا المكان كساحة معركة.

* * *

« الهروب وسط الجليد »

اندفعت سيارة « ماجد » بقوة وسط الطريق الجليدي وقد بدأت أولى خيوط الفجر تبدو في الأفق الملبّد بغيوم ثقيلة قاتمة.. وأخذ « ماكس » يرتجف بشدّة كما لو اصابته نوبة صرع.

كان « ماجد » يدرك أنهما في موقف عصيب، فان المطاردة لن تستمرّ إلى ما لا نهاية خاصة وأن مطارديه يملكون خمس سيارات، ولا بد وأن هناك مزيداً من السيارات سوف تظهر قريباً لتعترض طريقهما.

وكانت السيارة التي استولى عليها « ماجد » عتيقة من طراز « فولجا » الروسية، ولكنها برغم ذلك كانت قوية وان كان هذا لا يعني أن جدرانها ستتحمّل طلقات الرصاص المنهمرة حولهما، والتي اخترقتها في أكثر من موضع.

وانحرف « ماجد » بسيارته تجاه الغابات البعيدة، وهتف « ماكس » بذعر : أين تذهب بنا؟

لم ينطق « ماجد »، وعضّ على نواجده وضغط فوق دواسة البنزين بأقصى ما يستطيع فاندفعت السيارة تزأر فوق الجليد.. وبدأت حدود الغابة تقترب وتقترب.. وأدرك مطاردوه ما يهدف اليه فزادوا من سرعة سياراتهم خلفه.

واقترب « ماجد » من حدود الغابات، ودار بسيارته المسرعة دورة حادة فوق الجليد فحفرت السيارة لنفسها دائرة كاملة تناثر منها الجليد في دائرة واسعة حولها، وفتح باب سيارته بسرعة وجذب « ماكس » بشدة هاتفاً به : هيا بنا.

واندفع يجري داخل الغابة و « ماكس » خلفه بصوت لاهث.. وظلا يجريان ويجريان.. ومن الخلف توقّفت سيارات المطاردين بصوت حاد، واندفع عشرون رجلاً بمدافعهم الرشاشة يطاردونهما.

كان « ماجد » يستطيع مراوغة مطارديه بسهولة، فقد كانت سرعته كفيلة بأن تجعله يسبقهم بمسافة كافية، كما كانت الأشجار الكثيفة الكبيرة حوله تمثّل أفضل حماية من طلقات الرصاص المنهمرة خلفه.. ولكن وجود « ماكس » معه كان يعوق فراره بسبب بطئه وذعره الشديد، وكان الجو شديد البرودة، حتى لكأن درجة الحرارة تدنّت ثلاثين درجة تحت الصفر فكادت تجمد الأطراف.. وبرغم ذلك اندفع « ماجد » يجري وخلفه « ماكس » داخل الغابة الواسعة التي لم يكن أحدهما يعرف أين تكون نهايتها.

وأخيراً توقّفا لاهثين بعد نصف ساعة من المطاردة، وفقد المطاردون أثرهما، وارتمى « ماكس » فوق الأرض وهو يلهث بشدّة وقد شحب وجهه حتى صار بلون الثلج، أما أنفه فكان قطعة من الجمر، وكاد يبكي وهو يقول : انني أريد أن أموت.. لا يمكنني أن أظل مطارداً بقية حياتي.

رد « ماجد » بقسوة : سيكون هذا شأنك وحدك اذا ما فكّرت به، ولكن اظن أنني سأحصل على الميكروفيلم أولاً.

تراجع « ماكس » للخلف بذعر هاتفاً : لا.. لا.. إن أحداً لن يأخذه قبل مغادرتي هذه البلاد.

وساد صمت لحظات و « ماجد » يراقب « ماكس » الذي راح يلهث بشدّة وصدره يعلو ويهبط بقوة..

وأمسك « ماجد » « ماكس » من كتفه ونظر بقوة في عينيه وهو يقول بصوت بارد : أين الميكروفيلم؟

أزاح « ماكس » ذراعي « ماجد » بخشونة وهتف به : اتظنني غبياً حتى احتفظ به معي.. إن الميكروفيلم ليس معي هنا ولا في روسيا كلها.

ونظر إلى « ماجد » بسخرية وهو يقول : انه لدى صديق لي خارج هذه البلاد، وما لم أخرج من هنا وألحق به فإن الفيلم سيضيع إلى الأبد ولن يحصل عليه أحد.

ماجد: وهل تعلم المخابرات الروسية بذلك؟

ماكس: ولماذا تظنّهم تركوني أنعم بحريتي حتى تلك اللحظة.. انهم يخشون من ايذائي أو القبض عليّ حتى لا يفقدوا الميكروفيلم إلى الأبد.

تساءل « ماجد » بعيون ضيّقة : ولكنهم بدأوا مطاردتنا الآن؟

ماكس: هذا لأنهم يخشون أن أخبرك بمكان الفيلم.. إن هذا هو السبب الوحيد الذي يدفعهم الآن للقبض علينا معاً.

ماجد: والمخابرات الأمريكية والمعادية؟

رد « ماكس » في جمود : لا أظنهم يرغبون في أكثر من التخلّص منا.. حتى يضيع سر الفيلم للأبد ويضمنون عدم حصول أحد عليه.. لا أنتم ولا الروس.. ولا أي دولة أخرى تستفيد منه.

نهض وقد استعاد شيئاً من حيويته ونشاطه، وراح ينفض الثلج عن معطفه، وشرع في السير إلى جوار « ماجد » في صمت.

وبدأ الجليد في التساقط فوق رأسيهما، واستمرا نصف ساعة سائرين داخل الغابة بدون أن يلوح لهما منفذاً للخروج، وتساءل « ماجد » بعضاً من ضباط الشرطة متناثرين حول المكان فقال

ماكس: انني أشد منك تلهفاً على الخروج منها.. ولكنني لست خبيراً في الغابات.

وتناهى إلى أسماعهما اصوات بعيدة، فأمسك « ماجد » بذراع « ماكس » محذّراً، وانصت الاثنان فشاهدا شخصين يقتربان على البعد، وأسرع « ماجد » و « ماكس » يتواريان خلف شجرة ضخمة، واقترب من مكانهما ضابطان من ضباط الشرطة يتفحّصان المكان بنظريهما وقد شهرا مسدسيهما.

أشار « ماجد » « لماكس » ألا ينطق.. واقترب الضابطان أكثر وهما يتتبعان أثار الأقدام فوق الجليد وفجأة انقضّ عليهما « ماجد » من وراء الشجرة التي اختبأ خلفها، وسدّد لكمة هائلة إلى بطن الضابط الأول، وبقدمه سدّد ضربة أشد قوة الى فك الضابط الثاني.. وقبل أن يفيق الضابطان من المفاجأة قفز « ماجد » لأعلي، وهبط ليضرب الاثنان بسيف يده على عنقيهما فتهاويا على الأرض بلا حراك.

هتف « ماكس » ذاهلاً : أتعرف ما هي عقوبة ضرب ضباط الشرطة في هذه البلاد؟

رد ماجد : انها لن تزيد على الشنق على أي حال من الأحوال.

وأسرع بتفتيش الضابطين فعثر في جيب أحدهما على بوصلة

صغيرة وخريطة تبين تفاصيل الغابة فتألّقت عيناه وهتف بسرور : هذا بديع.

وأشار الى « ماكس » قائلاً : هيا ساعدني.

تساءل « ماكس » بقلق : وماذا ستفعل؟

ماجد: سنستولي على ملابسهما.. هذه هي الوسيلة الوحيدة لخروجنا من هذه الغابة فلا شك أنها محاصرة برجال الشرطة من جميع الجهات ولا يمكن لذبابة أن تغادرها بدون أن تقع عيونهم عليها.. هيا فلا وقت لاضاعته.

وشرع يخلع ملابس أحد الضابطين ويرتديها، ثم ألبس الضابط الفاقد الوعي ملابسه، وفعل « ماكس » مثله، وبعد دقائق كانا قد ارتديا ملابس ضابطي الشرطة، وجر « ماجد » الضابطين واخفاهما خلف شجرة عريضة وحصل على أحد مسدّساتهما، وألقى نظرة إلى الخريطة ثم إلى البوصلة، وحدّد اتجاههما وأشار إلى نقطة فوق الخريطة وقال : يجب أن نسلك هذا الاتجاه.. انه أقصر الطرق للخروج من الغابة.

وسارا باتجاه الجنوب فتبعه « ماكس » في صمت.. واستمرا في سيرهما قرابة الساعة حتى لاحت لهما حدود الغابة على البعد، وشاهد « ماجد » بعضاً من ضباط الشرطة متناثرين حول المكان فقال

« لماكس » محذّراً : تجنّب الحديث مع أي كان وإلا اكتشفوا حقيقتنا.

واقتربا من مجموعة الضباط فرفع « ماجد » يده بالتحية متعمداً اخفاء وجهه وقد أرخى قبّعته فوق عينيه، فجاوبه الضباط بالتحية بدون أن يحاولوا اعتراضهما.

واتجه « ماجد » مباشرة إلى احدى سيارات الضباط الواقفة عن قرب فتبعه « ماكس » بقلق. واستقر « ماجد » فوق مقعد القيادة وأدار السيارة وتحرّك بها.

ولم يعترض سيارتهما أحد، بل أسرع بعض الجنود بفتح المتاريس التي احاطت بالمكان، ثم أعطى التحية لراكبي السيارة فجاوبه الاثنان بالتحية.

وانطلقت السيارة بالاثنين مبتعدة عن المكان أخيراً.. واطلق « ماجد » ضحكة عالية مسرورة.

هتف « ماكس » غير مصدّق : يا لك من داهية.. لقد كاد يصيبني اليأس من نجاتنا من هذا المأزق.

أخرج « ماجد » الخريطة التي أخذها من الضابط، وتفحّصها حتى عثر على محطة قطارات « موسكو » فأشار إليها قائلاً : هذا هو هدفنا.

تساءل « ماكس » غير مصدّق : أتريد مغادرة « موسكو »؟

أعاد « ماجد » طي الخريطة ووضعها في جيبه وهو يقول : وهل تظننا سنظلّ نتجوّل بالسيارة الى ما شاء الله.. سوف يعثرون على الضابطين حتماً وسيبدآن في البحث عنا ولن يمكننا البقاء في « موسكو » بعدها لحظة واحدة.

ماكس: وأين سنتّجه بالقطار؟

ماجد: سنذهب الى « لينتجراد ».. انها أقرب المدن إلى حدود « روسيا » على مسافة قريبة من « فنلندا » وسنحاول الخروج من « روسيا » وعبور الحدود من « لينتجراد » إلى « فنلندا ».

وتساءل « ماكس » بقلق : ألا تظن أن أمرنا سينكشف في القطار؟

رد ماجد : لا أظن.. ان منظرنا بتلك البدلتين كفيل بارهاب الجميع وتجنّبهم لنا.

وأوقف السيارة في أحد الطرق الفرعية وأشار إلى « ماكس » أن يغادرها، فتساءل « ماكس » ذاهلاً : ماذا ستفعل؟

رد ماجد : لا يمكننا الذهاب بالسيارة الى محطة القطار والا اكتشفوا وجهتنا عند افاقة الضابطين في الغابة.. من الأفضل لنا العثور على تاكسي يقلنا الى هناك.

وخرج إلى الطريق الرئيسي و « ماكس » يتبعه، وأشار « ماجد »

إلى سيارة تاكسي توقّفت في الحال، ونظر السائق إليهما في احترام وخوف، ونطق « ماجد » اسم المحطة بالروسية بفضل القاموس الصغير الذي حرص على حمله معه، فأحنى السائق رأسه باحترام شديد، وانطلق بهما نحو المحطة.

وكانت المحطة من الروعة والفخامة ما لم يشاهده « ماجد » في أي محطة من محطات القطارات الأخرى في العالم. كانت عظيمة الأبهة تناثرت بداخلها تماثيل « لينين » و « ماركس » وبها سلالم صاعدة وهابطة وطرقات رخامية ومزدانة بلوحات رسمت على الممر وثريات ضخمة.. وكانت الحركة على أشدّها داخل المحطة. والتقط « ماجد » كتيباً صغيراً يوضح حركة القطارات باللغة الروسية والانجليزية والفرنسية، وقرأ به حركة القطارات ثم التفت إلى « ماكس » وقال له : هناك قطار سيغادر المحطة إلى « لينينجراد » على رصيف رقم (٧) بعد نصف ساعة.. اعتقد أنه من الأفضل لنا البقاء به بدلاً من انتظارنا هنا.

تساءل ماكس : ألن تقطع تذاكر لنا؟

رد « ماجد » باسماً : لا أظن أن ضباط الشرطة في هذه البلاد أو أي بلاد أخرى ممن يستعملون التذاكر في سفرهم بالقطارات!

واتجه إلى رصيف رقم (٧) وقد تبعه « ماكس » صامتاً.

· كان القطار واقفاً أمام الرصيف، والتفت « ماجد » فشاهد بعض ضباط المخابرات والشرطة على البعد وقد راحوا يراقبون المسافرين في امعان.

تجاوز « ماجد » الضباط متظاهراً بالحديث مع « ماكس » واتّجها إلى أقرب عربة ودخلاها.

اتجه « ماجد » إلى مقصورة صغيرة تتّسع لأربعة ركاب وفتحها ودخل « ماكس » ثم أعاد اغلاقها وهو يقول : أعتقد أنه من الحقوق المكتسبة لرجل الشرطة هو ألا يزعجهم الآخرون في أماكن جلوسهم.

راقبه « ماكس » بصمت ودهشة، فقد كان « ماجد » يتصرّف ببساطة ويستحيل على من يراه أن يصدّق أن هناك ثلاث أجهزة مخابرات تسعى خلفه في مطاردة رهيبة.

ألقى « ماجد » نظرة إلى ساعة يده، لم يعد باقياً سوى دقيقتين. واطلق القطار صفارته الأخيرة وكاد السائق يرفع فرامل القطار ليتحرّك حتى أوقفته اضاءة لمبة حمراء لمعت أمامه فجأة.. وعلى الفور تراخت يده من فوق الفرامل. والتفت نحو النافذة المجاورة للخلف فشاهد عدداً كبيراً من رجال الشرطة وقد أحاطوا بالقطار مهرولين، واندفع عدد منهم إلى الداخل شاهرين مسدّساتهم.

وانطفأت اللمبة الحمراء في مواجهته.. وكان هذا ايذاناً ببدء السير فرفع السائق الفرامل بدون أن ينبس ببنت شفة، وتبادل مع

مساعده نظرة صامتة. وأطلق السائق زفرة أخيرة وقد بدأ القطار في التحرّك، وهتف : ترى من هو ذلك التعس الذي جاءوا للقبض عليه هذه المرة؟

قال المساعد : انني لم أرهم بهذا العدد من قبل يا سيدي.. يبدو أنهم يسعون خلف صيد ثمين هذه المرة.

وضغط فوق مفتاح السرعة، فانطلق القطار بكامل سرعته ينهب الأرض، كأنه يؤدي جزءاً من مهمة مرسومة من قبل.

* * *

« رجل المخابرات »

سادت « ماكس » حالة من التوتر الشديد، وألقى نظرة جانبية على « ماجد » الذي انشغل بالنظر من نافذة القطار الذي تجاوز حدود العاصمة وسط السهول والبراري التي تغطّت بطبقة كثيفة من الثلج.

قال « ماجد » وهو يتأمّل الطريق : يقولون ان طريق « موسكو » « لينينجراد » هو أكثر الطرق الحديدية استقامة في العالم برغم أن طوله ستمائة كيلومتر.. وأن قيصر « روسيا » عندما أمر بانشائه رسم خطاً مستقيماً ما بين المدينتين وقال لمهندسيه : أريد طريقاً مستقيماً كهذا. ولقد نفّذ المهندسون الأمر حرفياً وأقاموا طريقاً لا ينحرف سنتيمتراً واحداً ولو واجه بركاناً مشتعلاً!

لم يجاوبه « ماكس » الذي أخذ يقضم اظافره بشدّة.. وخلع « ماجد » المعطف الثقيل من فوق الجاكيت ووضعه بجواره، وأغمض عينيه في صمت وبدا كأنه غرق في النوم.

ومرت بضع دقائق و « ماكس » يراقب « ماجد » في حذر، وعندما اطمأن إلى نومه امتدّت اصابعه بهدوء إلى مسدّس « ماجد » داخل جيوب معطفه، وقبل أن تقبض اصابعه عليه اندفعت قبضة « ماجد » في لكمة قوية نحو فك « ماكس » فألقت به على الأرض.

والتقط « ماجد » مسدّسه وصوّبه نحو « ماكس » المذهول وقال له : حسناً.. لقد انتهت اللعبة.

تراجع « ماكس » بذعر على الأرض وانكمش في ركن العربة وهو يقول : انني.. خشيت أن يقتحم أحد الحجرة و ..

قاطعه « ماجد » قائلاً : لا داع لمزيد من الأكاذيب.. لقد انكشفت لي الحقيقة منذ وقت.. ورأيت أن أجاريك فقد كان هذا لصالحي.

هتف « ماكس » بعيون مذعورة : أي حقيقة تقصد؟

رد « ماجد » بهدوء : دعنا نبدأ منذ الأحداث الأولى.. إن الروس قوم ماهرون ولا شك، لا يمكن لأي شيء أن يحدث بين ظهرانيهم ويجهلونه، وعلى هذا الأساس كان معروفاً لهم الموعد المضروب بيني وبين « ماكس » في مطعم « أوزبكستان ».. وكان من السهل عليهم تأخير موعد وصول الطائرة السوفيتية إلى « موسكو » بحيث أنني لا أصل إلى المطعم إلا بعد ساعة الا ربع من موعد اللقاء



المرتّب من قبل.. وفي خلال هذا الوقت قامت المخابرات الروسية بعمل بارع، ولا بد أنهم دفعوا بأحد عملائهم ليقوم بدوري ويخدع « ماكس » الحقيقي ويخرج معه من المطعم قبل وصولي.. وعندما أصل أنا يستقبلني أحد عملاء المخابرات الروسية على أنه « ماكس ».

ولوّح بمسدّسه قائلاً : أليست هذه هي الحقيقة أيها الرفيق ضابط المخابرات؟

حملق الرجل الراقد على الأرض في « ماجد » بذهول وهتف به : هل كنت تعلم الحقيقة؟

ماجد: ليس منذ أول لحظة.. يقولون إن أقل خطأً لرجل المخابرات يعني الموت وانكشاف أمره.. ومن المؤسف هنا أنكم ترتكبون كثيراً من الأخطاء، فأولاً لا يمكن لرجل يصل « لموسكو » منذ بضعة أيام مثل « ماكس » أن يتعرّف على القائمة بأعمال السفارة الايطالية وأنها سيدة مشاغبة للسلطات الروسية، إلا إذا كان يعرفها من قبل معرفة وثيقة.. ولربما كان هو أحد من يعبثون بعلب الصلصة والفاصوليا قبل إرسالها إلى السيدة المحترمة.. وأيضاً فإن الحصول على تذكرة لمشاهدة عرض الـ « بولشوي » يتطلب الانتظار شهراً على الأقل، ولذلك أدهشتني السهولة التي حصلت بها على تذكرتين لك ولي بمثل هذه السرعة، وكذلك معرفتك بكل

تفاصيل مسْرح « البولشوي » ومكان حجرة النجمة « ايفانا بافلوفتش».. وهي كلها أشياء لا يمكن أن يقوم بها إلا رجل يتعاون مع جهاز مخابرات يستطيع أن يلبّي له كل طلباته.. وحتى اطلاق الرصاص عليّ بطريقة رعاة البقر الأمريكية أمام باب فندقي كان بغرض ايهامي أن المخابرات الأمريكية تطاردني وتريد موتي، في حين أن أحداً لم يكن يهمه أمري سواكم، أليس هذا صحيحاً أيها الرفيق الزميل؟

تمتم ضابط المخابرات الروسي ذاهلاً : ولكنك.. هربت معي؟

مط « ماجد » شفتيه في استياء وهو يقول : للأسف كنت مضطراً إلى صحبتك غير السعيدة، فقد كنت تمثّل لي الأمل الوحيد الباقي للعثور على « ماكس » الحقيقي ومن هنا تظاهرت أن الخدعة قد انطلت عليّ وأننا مطاردان من الروس، ولا شك أنك كنت تخبرهم بمكان هروبنا كل مرة بجهاز لاسلكي في غفلة مني حتى يلحقوا بنا ويطاردونا، وتبدو المسألة كما لو كانوا قوماً خارقين يقرأون الطالع لمعرفة مكاننا.. لقد كان زملاؤك يتيحون لنا الفرار بسهولة عجيبة في كل مرة، ولا شك أن هذا كان لايهامي أننا مطاردون حقاً ومن ثم أعتقد أنك « ماكس » الحقيقي.. وحيث أنك حاولت سرقة مسدّسي فأرى أنكم اكتفيتم بهذا القدر من

اللعب حتى الآن، ونويتم القبض عليّ لأنني حاولت مغادرة « موسكو ».. أليس كذلك.

ضاقت عينا « ماكس » المزيّف ضابط المخابرات وهتف بغضب :
نعم أيها الثعلب الماكر.. لقد حان أوان انتهاء هذه اللعبة.. إن هناك خمسين ضابط مخابرات في هذا القطار.. ولا أظن أنه توجد أمامك فرصة واحدة للنجاة.

وجز على أسنانه وهو يقول : انك لا تعرف هنا كيف تكون الحياة في « سيبريا » لأمثالك.

قال « ماجد » ساخراً : سيسعدني لو حدّثتني عنها!

— ليس من سمع كمن رأى.. انك سوف تندم على اللحظة التي وطأت فيها بلادنا عندما تكون في معسكرات العمل الرهيبة وسط الثلوج الدائمة صيفاً وشتاءً ودرجة حرارة لا ترتفع عن عشرين درجة تحت الصفر في الصيف.. وتنخفض إلى خمسين درجة تحت الصفر في الشتاء.

وراح الرجل يضحك بطريقة عصبية خشنة، وراقبه « ماجد » بهدوء.. كان الوقت يمر وهو يعرف أن رجال المخابرات الروس سيصلون إلى مكانه حتماً.. وكان عليه الحصول على اجابة السؤال الذي عانى كل تلك المشقة لأجل الحصول على اجابته.

اقترب « ماجد » من الضابط وأمسكه من رقبته ونظر في عينيه

بقسوة شديدة وهتف به : أين أخذتم « ماكس » الحقيقي؟

واصل الضابط ضحكه بسخرية شديدة فقبض « ماجد » على رسغه بقوة آلمت الضابط فهتف بصوت متحشرج : ماذا تحاول أن تفعل؟

ماجد: سألتك سؤالاً، وعادة لا أحب القاء نفس السؤال مرتين.

قال الضابط بسخرية : أنك تبدو حسن الظن جداً.. إن شعارنا هو الموت.. ولا ننطق بكلمة واحدة.

وضع « ماجد » مسدّسه في رقبة الضابط وقال بصوت رهيب : حسناً سأحقّق لك شعاركم لينعموا عليك بوسام البطولة، ولا شك أنه سيسعدك أن تعلّقه فوق صدرك في جهنّم!

تجلّى الذعر في عيني الضابط وهتف بصوت متوسّل مبحوح : أرجوك.. أنت.. أنت لا تعرف ما يفعلونه هنا بالضابط الخائن.. ان الموت أهون لي مما ينتظرني من مصير.

وفجأة طرقت باب الحجرة يد قوية وتعالى صوت بالانجليزية يقول : افتحوا الباب.. تفتيش التذاكر.

نظر « ماجد » إلى الضابط بريبة وقال : انهم هم.. لا أظن أن مفتّشي التذاكر في بلادكم يتحدّثون الانجليزية.

وأمسك بالضابط من ياقته ورفعه وهو يقول له : هيا بنا.

تمتم الضابط بذعر : أين ستأخذني؟

دفعه « ماجد » بغلظة وهو يقول : صه ولا تنطق.

وتعالى الدق على الباب بحدة فاقترب « ماجد » من نافذة القطار وفتحها.. كان القطار يسير بسرعة تقارب ثمانين كيلومتراً وقد غطّى الأرض نسيج ثقيل من الجليد.

أشار « ماجد » برأسه إلى الضابط ليتقدّم من النافذة فجحظت عيناه وتراجع بذعر وهو يقول : ماذا ستفعل.. سوف نموت لو حاولنا القفز من القطار فوق الجليد وهو يسير بهذه السرعة.

دفعه « ماجد » بخشونة وألصق مسدّسه برقبة الرجل وهتف به : وسوف تموت الآن لو رفضت القفز فأيهما أفضل؟

ظهر التردد في عيني الضابط لحظة.. واقترب من النافذة واعتلاها بصمت، في نفس الوقت الذي بدأت طرقات شديدة وخبط فوق الباب محاولة تحطيمه.. وعرف « ماجد » أن الباب لن يصمد طويلاً.

هتف « ماجد » في الضابط بخشونة : هيا أيها الغبي.

استجمع الضابط ارادته وقفز نحو الأرض، فسقط فوقها وتدحرج بعيداً، وفي اللحظة التالية تبعه « ماجد » وقفز خلفه، في نفس الوقت الذي تحطّم فيه باب المقصورة واندفع داخلها عشرات الضباط شاهرين مسدّساتهم فشاهدوا النافذة المحطّمة.. وعلى الفور تصاعد منهم جلبة وصياح شديدين، واندفعوا مغادرين الحجرة.

كانت سقطة « ماجد » مؤلمة، فقد كان الجليد أشبه بسطح معدني صلب فأصيب بكدمة في ساقه، ولكنه تحامل على نفسه واقترب من الضابط الذي كان راقداً يتأوّه بشدّة ممسكاً بقدمه اليسرى، وكان واضحاً أن قدمه قد انكسرت من السقطة.

ومن بعيد تعالى صوت صرير قوي.. وتوقف القطار بفرامل حادة.. وقفز عدد كبير من الضباط منه وراحوا يجرون تجاه « ماجد » وهم يطلقون مسدّساتهم.

ألقى « ماجد » بنفسه خلف كتلة ثلج ناتئة ليحتمي من طلقات الرصاص، وفجأة صرخ الضابط الراقد بجواره، وظهر ثقب في مقدّمة جبهته بعد أن أصابته احدى رصاصات زملائه.

اسرع « ماجد » نحوه وهزه من كتفه بلهفة محمومة وهتف به :
أين « ماكس ».. أين أخذتموه؟

انفرجت شفتا الضابط بحركة مرتعشة، ونطق بكلمة واحدة : « ايفانا بافلوفتش ».

ثم تراخت ذراعاه وسقطت رأسه بجواره بعد أن فارق الحياة.

نهض « ماجد » بصمت.. وأحاط به عشرات الضباط شاهرين مسدّساتهم في شكل دائرة واسعة حوله.

ألقى « ماجد » مسدّسه ونهض مستسلماً لرجال المخابرات

الروسية، وقد أدرك أن أي مقاومة منه ستكون نوعاً من الانتحار، وعرف من نظرات اعدائه أي مصير مظلم ينتظره.

* * *

نهاية الجزء الأول

اقرأ بقية هذه المغامرة في الجزء الثاني :
« الهروب المثير »

فهرس

هذه العملية :

المهمة المستحيلة

المهمّة هذه المرة في أقصى الشمال.. خلف الستار الحديدي.. في روسيا.. والهدف الحصول على ميكروفيلم خطير جداً يخصّ الأعداء..

وسافر « ماجد » ليواجه أقوى ثلاث أجهزة مخابرات في العالم..

وكان عليه أن يواجهها وحده.. بلا مساعدة في مهمه مستحيلة.

وفي اللحظة الأخيرة يسقط « ماجد » بين أيدي الموت دائماً هو ثمن السقوط في دنيا المخابر

فهل كان الموت هو نصيب « ماجد » أيضاً!